كتاب في جريدة
أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996
عدد 88 الأربعاء 7 كانون الأول/ديسمبر 2005

مختارات شعرية

عبد العزيز المقالح

رسوم أحمد الحجري




الشريك الثقافي


المؤسسة الراعية

بيان صحفي

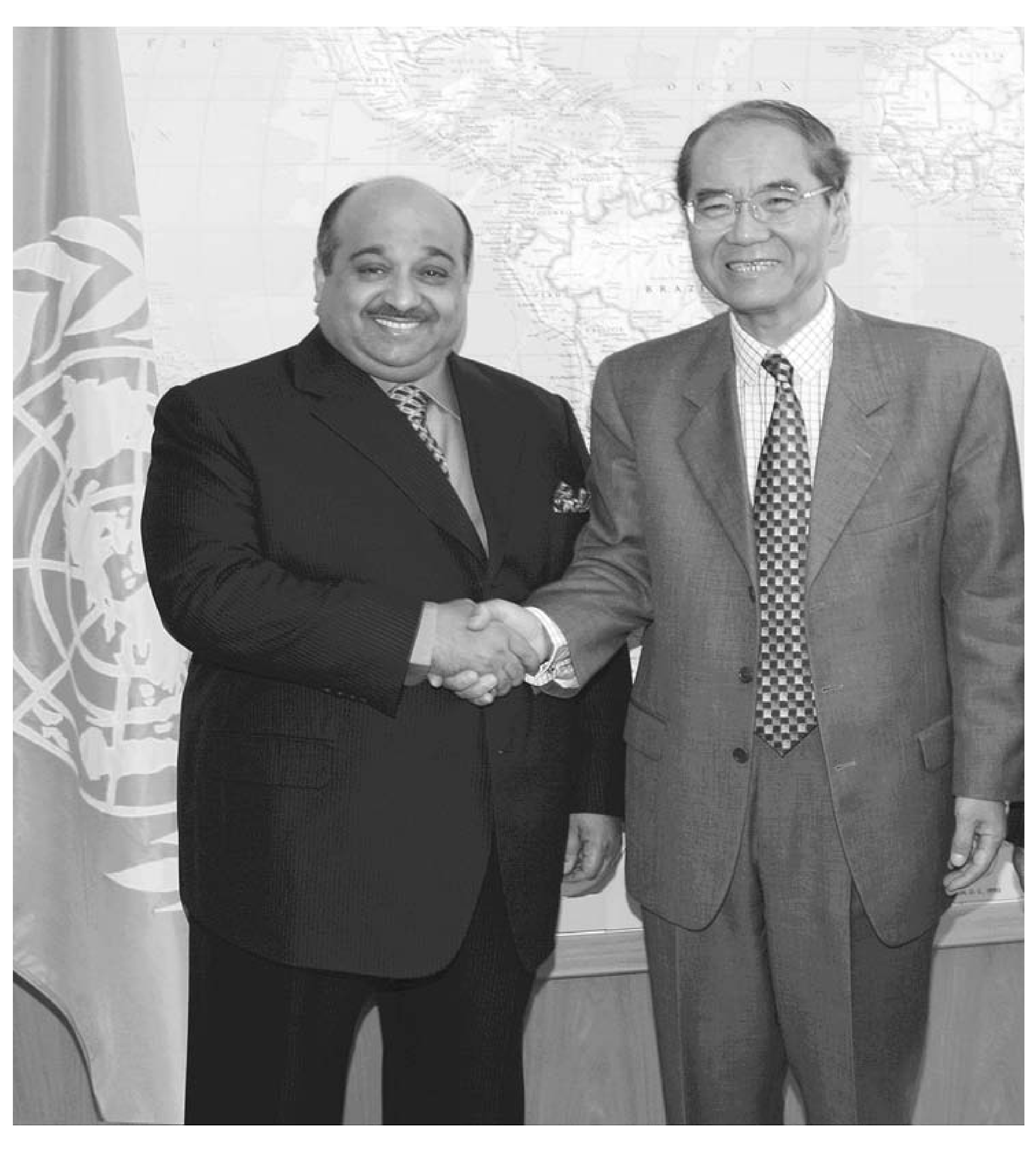
معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر مبعوثاً خاصاً لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) للحوار بين الثقافات والتربية وحقوق الإنسان

عيّن مدير عام اليونسكو، كويشيرو ماتسورا، معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر، مؤسس ورئيس مؤسسة «إم بي آي. فاونديشين»، في 18 آذار 2005 في مقر المنظمة بباريس، مبعوثاً خاصاً لليونسكو لحوار الثقافات والتربية من أجل الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان. وسيقوم الشيخ الجابر، بموجب هذا التعيين، بتمثيل مدير عام اليونسكو في جميع المناسبات العالمية في الميادين ذات العلاقة بالمواضيع التي انتُدب لها كمبعوث خاص للمنظمة.

جاء هذا التعيين تتويجاً لمسيرة الإنجازات المرموقة التي حققها الشيخ الجابر في دعم الحياة الثقافية العربية من خلال قيامه بالمبادرات الشجاعة والفاعلة في غمرة التحولات الكبرى التي تشهدها منطقتنا العربية، إضافة إلى إسهامات الشيخ الجابر المتنوعة في دعم التعليم العالي في مختلف الدول العربية، واهتمامه الخاص بالعراق لمساعدته في إنجاح التجربة الديموقراطية وتجاوز الأزمة الراهنة في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، الثقافية والتربوية .

وكان الشيخ الجابر مؤسس ورئيس مؤسسة «إم بي آي. فاونديشين»، قد وقّع عام 2003 بروتوكولاً طموحاً مع كويشيرو ماتسورا من أجل دعم العديد من المشاريع الثقافية والتربوية وبالأخص «كتاب في جريدة» وتطوير المناهج العربية ورفع كفاءات الهيئات التعليمية وتعريب الإنترنت.

إن الأهمية المطردة للدور البارز الذي يلعبه الشيخ الجابر في التصدي لكل ما يؤثر في الوضع الثقافي والتربوي في العالم العربي عبر نجاحه في إطلاق وقيادة عدد من المشاريع التي أثبتت جدواها وضرورتها، هي التي دفعت بالمنظمة الدولية ممثلة بمديرها العام إلى أن تخطو هذه الخطوة أملاً في المزيد من التعاون بين المنظمة الحكومية الدولية وبين «إم.بي.آي. فاونديشين» باعتبارها منظمة دولية أهلية تعمل على ترسيخ التعاون والتسامح طريقاً للسلام عبر التربية والعلم والثقافة والاتصال.



على اليمين: السيد كويشيرو ماتسورا، مدير عام منظمة اليونسكو
على اليسار: الشيخ محمد بن عيسى الجابر، رئيس مؤسسة MBI FOUNDATION

د. عبد العزيز المقالح
مختارات شعرية

تصدر عبد العزيز المقالح، منذ عقود عدة، المشهد الثقافي اليمني. ولما كانت اليمن – خلال هذه العقود – تعاني من العزلة والبعد عن مراكز النشاط الثقافي في العالم العربي، فقد شكل المقالح نافذة ثقافية لليمن على الخارج، وكان ممثلها الأبرز في المحافل العربية والأجنبية.

وإذا كان المقالح قد برز وعرف أولا بكونه شاعرا وناقدا، فإنه إلى ذلك – صاحب تجربة نضالية، وصاحب تجربة فكرية وأكاديمية طويلة. كان له أن يؤسس الجامعة في اليمن، جامعة صنعاء، أسسها وعمل رئيساً لها، إلى أن توسعت وأصبح لها فروع وكليات في أنحاء اليمن كلها.

أطلق المقالح شرارة الحداثة الشعرية في اليمن وظل قائما على رعاية التجارب الواعدة، فقد فتح المجالات أمام الأجيال الشابة من خلال المنتديات ومجالس الشعر والمجلات والمؤتمرات التي عقدت في اليمن بمشاركات من الخارج.

أصدر المقالح مجموعات شعرية كثيرة، ابتداء من "لا بد من صنعاء" و"مأرب يتكلم" و"رسائل إلى سيف بن ذي يزن"، إلى "هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي" و"الخروج من دوائر الساعة السليمانية" و"أبجدية الروح" وصولاً إلى "كتاب صنعاء" و"كتاب القرية" و"كتاب الأصدقاء" و"بلقيس وقصائد لمياه الأحزان" ... وقد صدرت أعماله الشعرية الكاملة في ثلاثة مجلدات، ضمن إصدارات وزارة الثقافة والسياحة في اليمن، في العام ٢٠٠٤، حيث كانت صنعاء تحتفل بتسميتها عاصمة للثقافة العربية.

في المؤلفات الأولى، يبدو واضحاً من العناوين تركيز الشاعر على مفردات يمنية مفعمة بالدلالات التاريخية والرمزية، وهي مفردات لم يخل منها شعر المقالح من أوله إلى آخره.

لقد سعى المقالح إلى التعبير عن الشخصية اليمنية، حاضراً وماضيا، وكذلك في ما يرجو لها من انعتاق وتطور. وهذا السعي لم يحل دون التعبير عن سيرة ذاتية، أرادها المقالح ممتزجة بسيرة عامة هي سيرة المكان أو البلد الذي أحبه. فالمقالح لا يحتفي بسيرته الذاتية إلا لأنها تعبير عن إنتمائه العميق إلى كل ما تمثله اليمن من تاريخ عريق، ومن حاضر تتنازعه الآلام والأحلام. ولا يجد أفضل من القبض على روح المكان في صوغ مشروعه الشعري. ففي "كتاب صنعاء" و "كتاب القرية"، على وجه الخصوص، يؤكد المقالح على أهمية انطلاق القصيدة من مكانٍ لها، أي من بؤرة اجتماعية – تاريخية – عاطفية تمنحها أفقا خاصا للقول الشعري. هذه البؤرة، وإن أمكن تحديدها جغرافياً، ليست كياناً جغرافياً فقط، وإنما هي كيان ثقافي، بكل ما للثقافة من أبعاد في الزمان والمكان.

اللغة الشعرية لعبد العزيز المقالح لا تتوسل الفخامة أو التهويل، وتتجنب التعقيد والتنميق. إنها لغة رقيقة تنساب في إيقاعات بسيطة، عباراتها تنحو إجمالا نحو السهولة والشفافية.



لم يغادر عبد العزيز المقالح مدينته صنعاء، إلى خارج اليمن، منذ أكثر من عشرين عاما. لقد اختار ألا يفارق المكان الذي تجلى له فضاءً للشعر، آثره على كل فضاء آخر.

جودت فخر الدين

أحمد الحجري

مواليد تازركة، من قرى الوطن القبلي بتونس، ١٩٤٨. ترعرع يتيم الأب في ظروف مادية صعبة دفعته إلى الهجرة إلى فرنسا بمجرد حصوله على شهادة مهنية بالكهرباء سنة ١٩٦٧. اكتشف موهبته في الرسم المهندس رولان موران الذي عرّفه على الفنان الكبير جان دوبوفيه، وشجّعاه على ممارسة الرسم بدوام كامل. أقام معرضه الأول في باريس بقاعة ميسّين سنة ١٩٧٨، وتوالت من بعده المعارض في ابرز الأروقة الأوروبية. اكتشفته تونس لأول مرة سنة ١٩٨٥. ينتمي عمل الحجري إلى المدرسة التلقائية من حيث تعلّمه الفن على نفسه، إنما مضيفا عليها روافد ثقافية فنية واسعة. يتميّز بعالمه الخاص المليء بالرؤى والأحلام.

الراعي
محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

المؤسس
شوقي عبد الأمير

المدير التنفيذي
ندى دلاّل دوغان

الإستشارات الفنية
صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

المَقَرّ
بيروت، لبنان

*** يصدر بالتعاون
مع وزارة الثقافة**

تصميم و إخراج
Mind the gap, Beirut

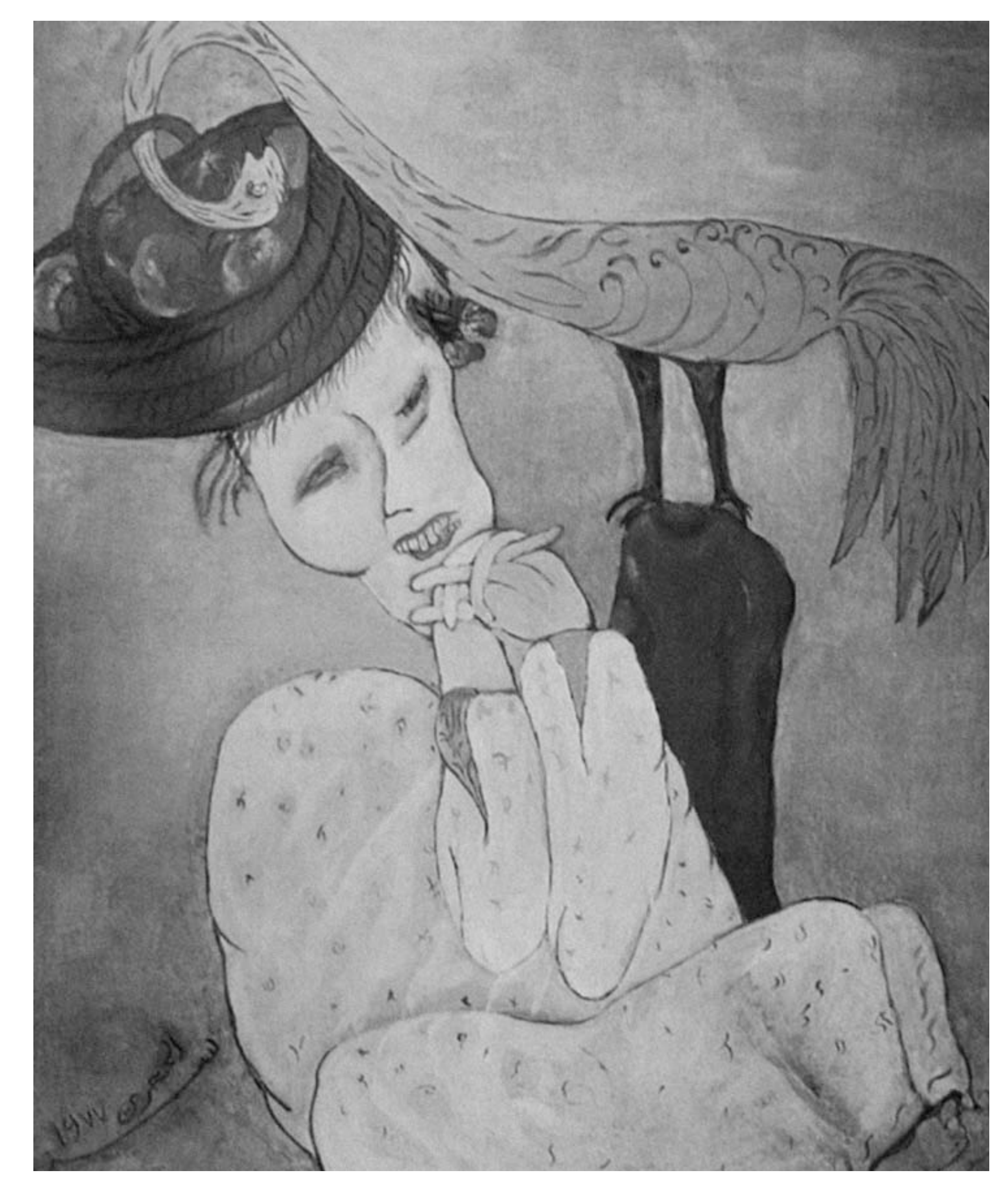
سكرتاريا وطباعة
هناء عيد

المطبعة
پول ناسيميان،
پوميغرافور برج حمود بيروت

الإستشارات القانونية
"القوتلي ومشاركوه ـ محامون"

الإستشارات المالية
ميرنا نعمي

المتابعة والتنسيق
محمد قشمر



كتاب في جريدة
العدد الثالث والعشرون
التسلسل العام: عدد رقم 88
(7 كانون الأول 2005)
ص.ب 1460-11 ـ بيروت، لبنان
تلفون/فاكس 630 248 (1-961+)
تلفون 219 330 (3-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb

مختارات شعرية
د. عبد العزيز المقالح

رومانطيكيّات

١

أَلَمَحْتَ

في الأفقِ الذي يدنو إليكَ الغيمَ

أخضرَ ،

يرتدي أشواقَهُ

للنسوةِ اللائي نزلْنَ

ليستحمَّ بمائهنَّ النهرُ

يشربَ منْ جمالِ عيونهنَّ

السِّحْرُ

والأقداحُ تقتاتُ ارتعاشاً

هائجاً؟

عذبٌ هوَ الرَّجَفانُ

حينَ تمدُّ نارَ أصابعِ الذِّكرى

وترتعشُ الحجارةْ .

٢

أشتاقُ مثلَ الغيمِ

مثلَ النهرِ

للدِّفْءِ الذي يأتي كموسيقى

منَ اللاّئي يراودُهنَّ

صيفٌ دائمٌ كالعطرِ .

كانَ العشقُ – منذُ المهدِ –

يصحبُني

يهدهدُ نارَ أشواقي

ويرسمُ لي طريقَ الحبِّ

بالألوانِ

بالكلماتِ ،

لكنَّ الجمالَ أعادني طفلاً

وأغلقَ دونيَ الأبوابَ

والأبوابُ خانتني . .

وقالتْ للبعيدِ وقد جفاني:

"هَيْتَ لَكْ" .

٣

في اللَّيلِ ، حينَ تئنُّ أسئلتي

ويخرجُ منْ عباءةِ صمتِهِ شوقي

أراكِ وقد فرشتِ نوافذَ

الأحلامِ

بالأهدابِ

وانسكبَتْ عطورٌ في الحدائقِ ،

هلْ أتيتِ؟

وهلْ أقولُ لإخوتي:

لا تدفنوا في الجبِّ أحلامي ،

ولستُ أريدُ مُلْكَ النِّيلِ

أو عرشَ الشّآمْ؟

٤

يا طفلتي يصطادُنا الإسفلتُ

تنكسرُ الأباريقُ

التي خبّأتُ فيها ما تبقَّى منْ

صِبانا

المورِق المفتونِ ،

هلْ في الكأسِ منْ عينيكِ

أسئلةٌ؟

وهلْ في الشارعِ المبتلِّ

بالأشجانِ

منْ أخبارِنا حرفٌ ،

وفي الطرقاتِ صوتٌ؟

هلْ أفاضتْ وردةٌ

عنْ حبِّنا الذّاوي؟

وهل سمعتْ بمصرعِهِ البلابلُ

والحمامْ؟

٥

خانتْ مواعيدُ الهوى سفني ،

فكنتُ كما أنا

جسدي يقولُ لها:

اخْرُجي منْ قلبيَ المحزونِ

منْ شِعْري

ومنْ لغتي

ومنْ رئتي .

يقولُ لها: اخْرُجي منْ ماءِ

أجفاني

ومنْ ثوراتِ أشجاني

ألا فلتخرُجي منْ نارِ أغنيتي

ومنْ جسدِ الكلامْ!

من مجموعة

«بلقيس وقصائد لمياه الأحزان»



أسئلة .. ومرايا

١

هلْ أخطأْتُ طريقي
حينِ اخترتُ الحرفَ
فضاءً وجناحا
أُطلقُ قلبي في ملكوتِ الذِّكرى
أبحثُ في نَفَقٍ لا ضوءَ بهِ
عنْ برقٍ مسجونٍ
يرسمُ للَّيلِ صباحا؟
هلْ أخطأتُ طريقي
فانسكبَ الحرفُ على دربي
شوكاً
وجراحا؟!

٢

يا أمّي . .
كنتُ جنيناً في جوفِ الْوَرْدِ
وكانَ الوردُ جنيناً في جوفِ الماءِ
وكانَ الماءُ جنيناً في جوفِ الرَّعْدْ،
كيفَ تخلَّى عني الوّرْدُ
تخلَّى جسدي عنْ روحي؟
كيفَ تخلَّى الماءُ عنِ الماءِ الرَّعْدِ –
الوعدْ؟!

٣

تحملني الرّيحُ على أطرافِ أصابعِها
ويواريني اللَّيلُ على أطرافِ أصابعِهِ،
وكبوذيٍّ يتسوّلُ لغةً منْ تابعِهِ
أتعثّرُ،
أغفو،
أشكو،
فَيُلَبِّيني صمتي بمواجعِهِ،
وينامُ على صدري كلَّ مساءْ.

٤

دثَّرَني صمتي بلحافٍ منْ ماءِ الكلماتِ
وأخفى رأسي تحتَ سحابتِهِ
لم أندمْ،
عانقتُ الصمتَ
وأيقظتُ حروفي
وطقوسَ شجوني فيهِ،
وأطلقتُ لأجفاني ماءَ الحزنِ
وغيمَ الحسراتْ.



٥

نصفُ بلادٍ لا تكفي
نصفُ صباحٍ لا يكفي
نصفُ صديقٍ لا يكفي ،
ويخاتلُني فرحٌ ينشرُ ضوءاً مكسوراً
فوقَ مسائي
أيّةُ أشباحٍ تسرقُ نصفي؟
أيُّ غرابٍ يصطادُ إذا جاءَ اللّيلُ
غنائي؟

٦

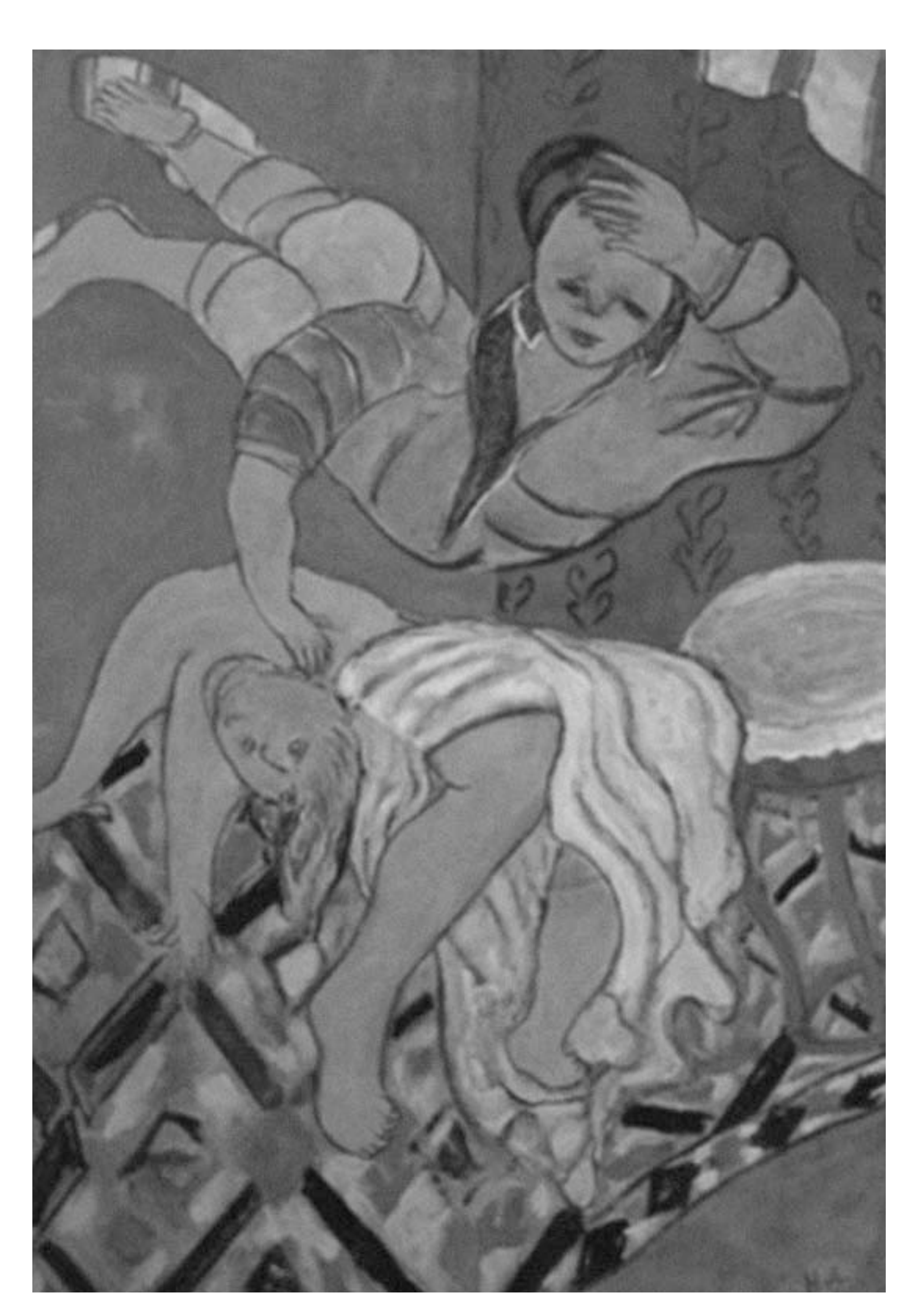
عيناكِ غدي
عيناكِ ظِلالٌ ترقصُ
فوقَ بقايا جسدي ،
يا واحةَ ضوءٍ بضفائرِها تَنْهلُ
وتغسلُ قمصانَ الخوفِ
تبلِّلُ بالذكرى كبدي
عيناكِ غدي .

٧

يتخلّى عني الأصحابُ
فأهجرُهم ،
وأرى في الشمسِ
وفي الشجرِ الأخضرِ ،
في الوردِ ملايينَ الأصحابْ .
يهجرُني الشعرُ
فأشعرُ أنَّ حدائقَ روحي معتمةٌ
وجدارَ القلبِ بلا نافذةٍ
أو بابْ .

يتخلّى عني السُّلطانُ
فتخضَرُّ الرُّوحُ بوديانٍ منْ وردٍ
ورياحينْ .
وأرى قفصاً يتهاوَى
وقيوداً حولي تتساقطُ ،
وأفرُّ كعصفورٍ يتشوَّقُ للشمسِ
وللنَّسَماتِ ،
وتفلتُ روحي منْ جثثٍ
ووجوهٍ كالأحذيةِ الملقاةِ
على العَتَباتْ .

من مجموعة
«بلقيس وقصائد لمياه الأحزان»



ضريح من الكلمات لمريم

١

في فلواتِ العمرِ الذّاوي
أسترجعُ شمسَ غدائرِها،
ويعودُ بيَ الشوقُ المشحونُ
بجمرِ الذِّكرى،
نحوَ زمانٍ أشهى منْ وعدِ الحبِّ
وأنقى منْ ورقِ الوردِ
وأصفى منْ ضوءِ نجومِ القريةِ. .
يا ذاكرتي، رِفْقاً!
أحتاجُ إليكِ الآنَ
لأخرجَ منْ كمدي
لأطيرَ بأشرعةِ الذِّكْرَى
في وادٍ مغمورٍ بالسَّلْوَى.

٢

حينَ تفتحُ أبوابَ ذاكرتي
ستراها
على جدولٍ منْ مياهِ الطفولةِ
ساكنةً في انتظارِ الفراشاتِ
والأصدقاءِ،
رَذاذاً منَ الأغنياتِ القديمةِ
تهطلُ منْ حارةِ الأغنياءِ،
وينداحُ في الأفْقِ صوتُ العصافيرِ
كالشَّهْدِ،
وَهْيَ هناكَ تضيءُ،
وتورقُ في حَدَقاتِ المكانْ.

٣

صبحاً. . كانَ لقاءُ القلبينْ
كانَ لقاءُ الطفلينْ،
كانتْ أكبرَ منهُ قليلاً
أهدأَ منهُ كثيراً،
ترسمُهُ في عينيها
في شفتيها،
يرسمُها في عينيهِ
وفي شفتيهِ،
ما أعذبَ أصبعَها المصبوغةَ بالحِنّاءُ،
كمْ تنفثُ منْ ماءِ الدّهشةْ!

٤

في ظهيرةِ يومٍ بهيِّ الرُّؤَى
لم يكنْ في البلادِ سوانا
الفضاءُ لنا،
أطعمَتْني لذيذَ الحديثِ
سقتني حليبَ الهوى
خِلْتُ أني اتكأتُ على صدرِها
أنها وضعتْ رأسَها فوقَ صدري
وأني بنيتُ على غيمةٍ قصرَ أفراحِنا،
ثمَّ سوّرْتُهُ بشواطئَ منْ فضّةٍ
وبحارٍ تخلَّتْ عنِ المِلْحِ،
وارتحلتْ في نعاسِ الكلامْ.

٥

في ضحوةِ يومٍ آخرْ
حملَتْنا أقدامُ الشوقِ لضاحيةٍ
سَكْرَى بالخضرةِ
كانَ الضّوءُ هناكَ يداعبُ أطفالاً
وأرانبَ
يمشي بينَ خرافٍ ترعى
وفراشاتٍ تتوارى خلفَ الأعشابْ. .
تركتْ كفّي بينَ يديها
وتسلَّلَ صوتُ المزمارِ طريّاً
ونديّاً
ذابتْ روحانا في النشوةِ
حتى جاءَ اللَّيلْ.



٦

مريمُ احترسي!
إنّ ذئبَ المجاعةِ يأكلُ أطفالَنا
ويواري الجمالَ بأكفانِهِ،
قيلَ: مريمُ جاعتْ
قيلَ: مريمُ نامتْ
قيلَ: مريمُ ماتتْ
ليتني كنتُ خبزاً تفتّتُهُ بأصابعِها
حينَ يدركُها الجوعُ.. مريمُ،
ليتَ الحقولَ التي منعَتْها سنابلَها
لا تطيبُ
ولا تعرفُ الاخضرارْ.

٧

ولقد كرّمْنا آدمَ بالموتِ،
وكرّمْنا – بالحزنِ – الأبناءْ
عادتْ مريمُ للطينِ
وصرتُ وحيداً
فاكتبْ بالحزنِ ضريحاً
لهواكَ الأوَّلِ
مريمُ تحتَ الأحجارِ
وأنتَ وحيدٌ،
لا يربطُ عينيكَ بهذي الأرضِ
سوى ماءِ الحزنِ،
سوى صمتٍ يتساقطُ في أحداقِ اللَّيلِ
سوى رائحةٍ منها،
تتجدَّدُ في كفِّكَ
في عينيكَ،
إذا لامسْتَ الأرضْ.

٨

يهطلُ الحزنُ رملاً على كبدي
والقصائدُ
ينهدمُ الشرقُ،
لا شمسَ في الأفْقِ
ينهدمُ الغربُ،
لا قمرٌ
لا نجومٌ،
يوجِّهُني الحزنُ – بالألَمِ المتألِّقِ –
حيثُ يريدُ،
ومرّتْ على شاشةِ العمرِ (أفلامُ)
أذكرُ أني رأيتُ..
وشاركتُ في بعضِ أدوارِها،
بيدَ أنَّ الحبيبةَ مريمَ
حاضرةٌ في صراطٍ منَ الذّكرياتِ
مشيتُ إليها
بنيتُ ضريحاً لها في دمِ الكلماتِ
وأجلستُها في أرائكِ ذاكرتي،
وَهْيَ نائمةٌ
ومخبَّأةٌ في شرودِ الترابْ.

٩

يا أحبابي
يا نزلاءَ الحزنِ الدّائمِ
إنَّ خطايَ مسمَّرَةٌ
في أرضٍ تجرحُني بالذِّكرى،
تنقذُني بالذِّكرى
تكتبُ صمتي،
وتقاسمُني عشبَ التّذكارِ
تحاولُ أنْ تسلبَني عفَّةَ حزني
وتصادرَ دندنةً أطلقَها عشقي
ذاتَ مساءٍ حالِمْ..
هلْ منْ موعظةٍ يتّكئُ القلبُ عليها
ويواري خيبتَهُ الكبرى؟!

٠١

سوفَ تبقى معي
في ضريحٍ تلاشتْ معالِمُهُ
في القصائدِ،
في شارعٍ مقفرٍ لا أنيسَ بِهِ
في اشتعالِ التذكُّرِ،
في دفءِ حُلْمٍ قديمٍ
وفي كلِّ وجهٍ جميلٍ قرأتُ ملامِحَهُ،
وإذا ما التقينا هناكَ
سأقرأُ ديوانَ شعري لها
وأقولُ: هنا أنتِ مرسومةٌ في القصائدِ
منقوشةٌ – كالتّعاويذِ –
في الذّاكرةْ.

من مجموعة
«بلقيس وقصائد لمياه الأحزان»

تراتيل ومرايا

وأَفِرُّ منْ نفسي إليهْ
وأَفِرُّ منْ أهلي إليهْ
وأَفِرُّ منْ زمني إليهْ،
وإذا شكوتُ فإنني أشكو إليهْ،
وإذا بكى قلبي
وأطبقَ ليلُ أحزاني أمدُّ يدي إليهْ،
وغداةَ ينبو الرُّوحُ عنْ بدني
فإني عائدٌ تَوّاً إليهْ.

* * *

يا منْ بنى عرشَ الكلامِ
وفي فضاءٍ
منْ نبوّاتِ المحاريبِ اصطفاهُ
وشادَهُ،
وأحاطَهُ باللاّزوردِ
ورشَّ أضواءً عليهْ..
ناديتُ في كلِّ اتجاهْ،
وشردتُ في كلِّ اتجاهْ،
وسألتُ في كلِّ اتجاهٍ..
دلَّني صمتي إليهْ.

* * *

تتسكّعُ الأرواحُ في بستانِهِ
وتهيمُ في وديانِهِ
وتجوسُ في شطآنِهِ
عطشى إلى رضوانِهِ؛
وإذا تَصَدّعَتِ الحروفُ الظامئاتُ
ورفَّ برقٌ منْ دمٍ
سكنتْ معلّقةً على أجفانِهِ؛
وبقوّةٍ أخذَ الكتابَ، وسارَ مزهوّاً إليهْ.

* * *

بالصُّدفةِ انكسرتْ محارةَ روحِهِ،
خَرجَتْ منَ الكهفِ العقيمِ
تجرُّ أعماراً منَ الكلماتِ
سكرى منْ روائحِ دَوْحِهِ،
متأرجحاً بينَ المنامِ
وبينَ خيطٍ منْ مرايا نَوْحِهِ.
يا لَلْحصى شفّافةً
رسمتْ طريقي نحوَهُ، ومشتْ إليهْ.

* * *

مطرٌ منَ الكلماتِ
والأضواءِ
يرقصُ بينَ ظِلّي
والدِّماءْ.
عيناهُ تحتضنُ السَّماءْ
شجرٌ بلا ماءٍ،
وأطفالٌ على المرآةِ
تهتفُ: ماءْ.. ماءْ.
وأنا طريحٌ فوقَ نارِ العشقِ،
تسبقُني استغاثاتي..
نداءاتي إليهْ.

* * *



حَجرٌ
هوَ الجسدُ الذي حَملتْهُ روحي،
سكنتْ على أوجاعِهِ دهراً،
ونامتْ في خطيئتِهِ جروحي
حطباً يناولُني مسرّاتي،
وأهوائي
وأشجاني،
ويرسمُ لي طموحي.
يا أيها الحجرُ الذي هوَ – حينَ يلقاني –
أنا.. خذني إلى أوطانِهِ
خُذْني إليهْ.
* * *
ذَبُلَتْ نجومُ الذكرياتِ،
توضّأتْ بمجامرِ النسيانِ
أيّامي القديمةْ،
وفتائلُ النورِ التي كانتْ تداعبُ جبهتي
ذَبُلَتْ،
رياحُ صبابتي صارتْ عقيمةْ.
يا طفليَ الموعودَ قفْ
وارجعْ!
أمامَكَ عتمةٌ
ورؤىً دميمةْ.
فاكتبْ على ظهرِ الحصى شمساً
لتحملَني إليهْ!

من مجموعة
«بلقيس وقصائد لمياه الأحزان»



اللوحة الأولى

مثلَ صفصافةٍ لا تغادرُ أوراقَها
تستقيمُ على جبلٍ باذخٍ
وتمدُّ يديها لتسمحَ عنْ جبلٍ آخرٍ
غيمةً . .

تلكَ قريتُهُ .
مثلَ موّالٍ اصْطدمَتْ
بشظايا منَ الضَّوءِ أنغامُهُ ،
وهوى ريشُهُ
فاستقرَّ على الأرضِ مستجمِعاً ذاتَهُ .
مثلَ أغنيةٍ سكنَتْ قمّةً
عشقَتْ وادياً
فاستراحتْ على السفحِ
حاملةً منْ ذُراها الأساطيرَ والماءَ ،
واقفَةً مثلَ سيِّدةٍ لا تشيخُ محاسنُها
لا تكفُّ عنِ الحملِ ،
مورقةً في الشتاءِ وفي الصيفِ ،
مولعةً بالولادةِ ،
مولعةً بالرَّضاعةِ ،
مولعةً بالندى؛
تلكَ قريتُهُ العذبةُ الهادئةْ .

* * *

(جميلةٌ باذخةٌ
تتباهَى بفقرِها وبمعمارِها المتقشِّفِ . .
ليلٌ هادئٌ ، عامرٌ بالنجومِ
ونهارٌ راقصٌ ، مترعٌ بالضوءِ
وبموسيقى الجداولِ
والشجرِ .
بيوتُها الحجريّةُ المطليّةُ النوافذِ بالنَّوْرَةِ
تلوحُ لعينَي المسافرِ – منْ بعيدٍ –
كقناديلَ هابطةٍ منَ السماءِ . .
طينٌ تراودُهُ شهوةُ العزلةِ
وحنينُ الابتكارِ .
يتذكَّرُها ،
يتذكَّرُ التلالَ والأوديةَ ،
المنحدراتِ الصخريّةَ
المغطّاةَ بأعشابٍ
لا تعرفُ الذبولَ .
هيَ الأملُ في أعتى درجاتِ اليأسِ
والضوءُ في آخرِ الرِّحلةِ الخائبةِ ،
هيَ بقعةٌ في جسدِ الوطنِ
وأحياناً هيَ الكلمةُ التي تختزلُ الوطنْ) .

من مجموعة
«كتاب القرية»

اللوحة الثانية

منْ متى
وَهْيَ رابضةٌ هكذا
في وداعةِ طفلٍ بريءٍ
على كَتِفِ السَّفْحِ
تغسلُ أجفانَها في الصباحِ
بماءِ النهارِ ،
وأقدامُها تستحمُّ بنهرٍ
صغيرٍ
يثورُ إذا ما أتى الصيفُ
واحتدمَتْ في الجبالِ السُّيولْ .
لا تَريمُ عنِ السَّفْحِ
تستقبلُ الشمسَ في فرحٍ
وتداعبُ كلَّ الفصولِ
وفي اللَّيلِ توقدُ أحلامَها
حطباً للتذكُّرِ
قبلَ الرُّقادْ .

* * *

(لا تاريخَ لها ،
لم تدخلْ معجمَ البلدانِ
ولم تكنْ محلَّ اهتمامِ عاصمةٍ
أو حاكمٍ
بأسرارِها
وبكنوزِ جَمالِها
حتى الطيورُ التي هاجرَتْ إليها
أو هاجرَتْ منها
لم تُذَعْ سِرَّها
ولم تتحدَّثْ عنها إلى أحدٍ .
هذه القريةُ الصغيرةُ
الواقعةُ بينَ الأرضِ والسماءِ
في فضاءاتٍ منَ البهاءِ
المفتوحةِ على وديانٍ واسعةٍ
هيَ المدخلُ إلى **وادي بَنا**
المشهورِ في المدوَّناتِ ،
وفي القصائدِ المغنّاةْ) .

من مجموعة
«كتاب القرية»





القصيدة الأولى

هيَ عاصمةُ الرُّوحِ
أبوابُها سبعةٌ
– والفراديسُ
أبوابُها سبعةٌ –
كلُّ بابٍ يحقِّقُ أمنيةً للغريبِ
ومنْ أيِّ بابٍ دخلتَ
سلامٌ عليكَ ،
سلامٌ على بلدةٍ
طيِّبٌ ماؤُها طيِّبٌ
في الشتاءاتِ صحوٌ أليفٌ
وفي الصيفِ قيظٌ خفيفٌ .
على وابلِ الضوءِ تصحو
وتخرجُ منْ غَسَقِ الوقتِ
سيّدةً
في اكتمالِ الأنوثةِ .
هل هطلَتْ منْ كتابِ الأساطيرِ
أم طلعَتْ منْ غناءِ البنفسجِ
أم حملَتْها المواويلُ
منْ نبعِ حُلْمٍ قديمٍ؟!

* * *

(مكّةُ عاصمةُ القرآنِ ،
باريسُ عاصمةُ الفنِّ ،
لندنُ عاصمةُ الاقتصادِ ،
واشنطنُ عاصمةُ القوّةِ ،
القاهرةُ عاصمةُ التاريخِ ،
بغدادُ عاصمةُ الشعرِ ،
دمشقُ عاصمةُ الوردِ ،
وصنعاءُ عاصمةُ الرُّوحِ .
في أعماقِها كَنْزٌ مخبوءٌ
للحلمِ
وفي رحابِها تقامُ الأعراسُ البهيّةُ
وتولدُ منْ الحجارةِ أشكالٌ
وترانيمُ
ويكتبُ اللَّونُ الأبيضُ
قصائدَهُ الباذخةَ
ويدوِّنُ اللَّيلُ أساطيرَهُ المثقلةَ
بعناقيدِ الشَّجَنِ
ومجامرِ الأطيابِ ،
على الجدارِ الداخليِّ الأملسِ
لبابِ اليمنِ
كتبَ شاعرٌ يمانيٌّ:
"هيَ صنعاءُ ، حانةُ الضوءِ فادخلْ
بسلامٍ ، وقَبِّلِ الأرضَ عشرا
واعتصرْ منْ جمالِها الفاتنِ البكْـ
ـرِ ، رحيقاً يضيفُ للعُمْرِ عُمْرا" . .[1] .

---

[1] عبدالعزيز المقالح شاعر يمنيّ.

من مجموعة
«كتاب صنعاء»

القصيدة الثانية

هوَ «غَيْمانُ»
كانَ اسمُهُ هكذا!
تستريحُ الغيومُ
على كَتِفَيهِ
العواصفُ في سفحِهِ
تتكسَّرُ
وَهْوَ الحبيبُ وحارسُها الأزليُّ
يداعبُها حينَ تصحو
يقبِّلُها حينُ تغفو
يصيرُ مخدَّتَها إذ تنامُ
ولكنّهم ظلموهُ ،
فقالوا له «نُقُمٌ» ، وَهْوَ «غَيْمانُ» . .
هل يستردُّ هُوِيَّتَهُ
واسْمَهُ
ويرى الناسُ ظِلَّ ابتسامتِهِ
حينَ تُومي إليهِ أصابعُهم . .
ذاكَ «غَيْمانُ»
يضربُ عمقَ الفضاءِ بهامتِهِ
والقصائدُ تحرسُ أحلامَ طفلتِهِ
الرّائعةْ .

* * *

(خرجتْ صنعاءُ منْ أسمائِها مراراً
وتبدَّلَتِ السُّلالاتُ
واستطاعَتِ الْقرونُ المتعاقبةُ
أنْ تغسلَ وجهَ الأرضِ منَ القبورِ
والقصورِ
والْتَفَّ جَسدُ صنعاءَ بالحريرِ تارةً
وبالرَّمادِ تارةً
و«نُقُم» يغازلُ أنقاضَ التاريخِ
ويتوقُ إلى تغييرِ اسْمِهِ .
مزّقَتِ القرونُ قمصانَهُ الخضراءَ
وتحوَّلَتْ أقدامُهُ إلى حصى
وصدرُهُ إلى مخابئَ للذِّئابِ
لكنَّ قمَّتَهُ ما تزالُ نجمةً
تضيءُ في هدأةِ اللَّيلِ
حينَ يشتدُّ الظلامُ ،
والحجارةَ فيهِ تحلمُ وتتساءلُ:
بأيّةِ شمسٍ ترتوي؟
وبأيّةِ مطرقةٍ تغيِّرُ الحروفَ؟
وكيفَ يتناولُ قهوةَ الصبحِ
منْ يدِ الحبيبةِ
وهوَ لا يشعرُ بالخجلِ
منَ اسْمِهِ المجبولِ
منْ ترابِ الانتقامْ؟!) .

من مجموعة
«كتاب صنعاء»



ابتهالات

إلهي
أعوذُ بكَ الآنَ
منْ شرٍّ نفسي
ومنْ شرِّ أهلي
ومنْ شرِّ أصحابيَ الطيّبينَ
ومنْ شرِّ أعدائيَ الفقراءِ إلى الحبِّ
منْ شرِّ ما صنع الشِّعْرُ
منْ شرِّ ما كتبَ المادحونَ
ومنْ شرِّ ما كتبَ الحاقدونَ،
أعوذُ بكَ اللّهُ
منْ أرقٍ في عيونِ النُّجومِ
ومنْ قلقٍ في صدورِ الجبالِ
ومنْ خيبةٍ في نفوسِ الرِّجالِ
ومنْ وطنٍ شاهرٍ موتَهُ،
يتأبّطُ خيبتَهُ
يتكوَّرُ خوفاً منَ الذّاكرةْ.

* * *

إلهي
وقد سكنَ اللّيلُ
وانكفأتْ تحتَ صمتِ الظلامِ
البيوتُ،
وأورقَ حزنُ الشَّوارعِ:
هل لي إذا انكمشَتْ داخلَ الجسمِ روحيَ
واختبأ الحُلْمُ في صَدَفِ الدَّمعِ..
هل ليَ خلفَ المدى
توبةٌ تصطفيني،
ونافذةٌ تحتويني؟
وهل للكلامِ المحوَّطِ بالسِّرِّ،
أنْ يفتدي وحشةَ الغابِ
أنْ يمنحَ القلب
شيئاً منَ الضَّوءِ،
شيئاً منَ الصَّلَواتِ
تُطَهِّرُ هذا الكيانَ العتيقْ،
وتغسلُ عنهُ سوادَ الخطيئةِ
تغسلُهُ منْ بقايا الجنونِ
ومنْ مَوجاتِ الحريقْ.

* * *

إلهي
سأعترفُ الآنَ
أنّي خَدَعْتُ العصافيرَ
أنّي هجوتُ الحدائقَ
أنّي اختصمتُ معَ الشمسِ
أنّي اتَّخذْتُ طريقي إلى البحرِ
منفرداً
وانتظرتُ الزَّمانَ الجميلَ؛
فما كانَ إلاّ السَّرابُ
وما كانَ إلاّ الخرابُ.
ولكنّني انْصَعْتُ للشَّكِّ
كابرْتُ
بَعْثَرْتُ
نصفَ الجنونِ
ونصفَ الضميرِ،
فأدركَني دُمَّلُ الوقتِ
شاهدتُ نعشيَ
خالطتُ أشياءَ
لا تقبلُ التَّسميَةْ.

* * *

إلهي
تزيَّنَتِ الأرضُ
أنتَ الذي
بظلالِ النّدى،
بالبحيراتِ
بالعشبِ،
بالأخضرِ المتوهِّجِ زَيَّنْتَها،
وشعشعَ ضوؤُكَ في الماءِ
فاستيقظَ الرُّوحُ
وارتعشَتْ في الأثيرِ المعارجُ.
فوّاحةً – كانتِ – المدنُ الذّاهباتُ إلى النهرِ
والقادماتُ منَ النهرِ،
لا شيءَ يشبهُ شيئاً هناكَ
ولا شيءَ يشبهُ شيئاً هنا.
أنتَ شكَّلْتَ باللّونِ هذا الفضاءَ المديدَ
وأطلَعْتَهُ.. كيفَ تنفلقُ الثَّمراتُ
وكيفَ يجيءُ المساءُ وحيداً إلى البحرِ
يسحبُ خُطْواتِهِ خائفاً
وينامْ.

* * *

إلهي
تسلَّلْتُ ذاتَ مساءٍ شديدِ الظلامِ
إلى (منطقِ الطَّير)[1]
كانَ (الفريدُ)[2] هناكَ يحدِّثُ
أنصارَهُ
وتلاميذَهُ
بعدَ أن عادَ منْ مدنِ العشقِ
ممتلئاً بالمحبّةِ
للناسِ
والطيرِ
والكائناتِ القريبةِ
والكائناتِ البعيدةْ
. . . قالَ لي:
أيها الجاهلُ الجاحدُ الحقَّ
إنَّ التَّعَصُّبَ أفْعى
وإنّكَ – مهما ارتَقَى بِكَ جَدُّكَ –
لستَ سوى حفنةٍ
منْ ترابْ.

* * *

إلهي أنا شاعرٌ
يتحسَّسُ بالرُّوحِ عالَمَهُ
يكرهُ اللَّمْسَ،
عيناهُ مُقْفَلَتانِ،
وأوجاعُهُ لا حدودَ لأبعادِها
وتضاريسِها،
كرهَتْني الحروبُ
لأنّيَ بالحَسَراتِ
وبالخوفِ أثقلْتُ كاهلَها،
ونجحْتُ بتحريضِ
كلِّ الزُّهورِ
وكلِّ
العصافيرِ
أنْ تكرهَ الحربَ
أنْ ترفضَ الموتَ
يأتي بهِ موسمٌ للحصادِ الرَّهيبِ،
ولكنّها الحربُ
يا سيّدي
أطفأَتْني
وأطفأَتِ اللَّوحاتِ المدلاَّةَ في الأُفُقِ
أقْصَتْ عنِ الأرضِ نورَ السَّماواتِ
واحتكرَتْ مَلَكوتَ الجحيمْ.

* * *

إلهي!
تبدَّلَ
وجهُ الزُّهورِ
ووجهُ الطيورِ رماداً،
تبدَّلَتِ الأرضُ بالعشبِ
وانفطرَتْ. .
لم يعدْ مستقيماً شعاعُ الصباحِ
وما عادتِ العينُ تقرأُ عبرَ نوافذِها المغلقاتِ
سحابةَ صيفٍ تذوبُ حناناً،
إذا اقتربَتْ منْ أصابعِها الشمسُ،
حتى السَّماءُ انحنَتْ
وتهشَّمَ أزرقُها. .
ارْتَجَّ
وانطفأتْ فوقَ جدرانِها صورُ الظِّلِّ
والضَّوءِ.
إنَّ الحريقَ على حافَةِ العمرِ. .
ماذا جرى؟
هل سيتركُنا الحبُّ للحربِ؟
أشهدُ
أنَّ الزمانَ انتهى
والمكانَ انتهى
والفصولَ،
ولا شيءَ
يلمعُ
يسقطُ فوقَ المياهْ.

* * *

إلهي
على عَجَلٍ جئتَ بي
وتمنَّيتُ – أنّي على عَجَلٍ – قد رجعْتُ إليكَ
وألقيتُ بينَ يديكَ جواهرَ حزني
وأثمنَ ما ادَّخَرَتْهُ الطفولةُ
منْ وجعٍ. . (آهِ)
لا شيءَ يُمْسِكُني – كانَ – إلاّ البكاءُ
فقد خفتُ لَمّا هبطتُ إلى الأرضِ،
رَوَّعَني الناسُ
أرهقَني مخلبُ الخوفِ،
حاولتُ – يا ليتَني كنتُ أسْطِيْعُ
أنْ أنثني
أنْ أكونَ ندىً
حجراً،
أنْ أهاجرَ
أنْ أطمسَ اسْمِيَ
أمحوَهُ منْ كتابِ الخليقةْ.

* * *

إلهي مضى العمرُ إلاّ القليلَ
وما غادرَتْ قدمي أوَّلَ السُّورِ
منْ مَنْزِلِ الكائناتِ،
ولم يشهدِ القلبُ سِرَّ الجمالِ الموزَّعِ
في الأرضِ،
لم تكتبِ الرُّوحُ أوَّلَ حرفٍ
منَ اللُّغةِ المسْتَكِنَّةِ
في الضَّوءِ.
ما زالت الكلماتُ تشدُّ الرِّحالَ
إلى غيمةٍ ليسَ تدنو
إلى امرأةٍ اِسْمُها في الكتابِ القصيدةُ.
يا سيّدي:
ورقُ العمرِ ما زال أبيضَ منْ غيرِ سوءٍ
سوى ثرثراتِ المرايا
وأبخرةٍ تتصاعدُ منْ كبدِ الشَّكِّ. .
هل تستطيعُ اللُّغاتُ التي ستموتُ معي
والقصائدُ أنْ تعبرَ الدَّهشةَ الصامتةْ؟

---

[1] إشارة إلى كتاب (منطق الطير) لفريد الدين العطار.
[2] الفريد: فريد الدين العطّار

من مجموعة
«أبجدية الروح»

مرايا الضوء

للنجمِ ملاذٌ في الضوءْ
للوردِ ملاذٌ في العطرْ
للنهرِ ملاذٌ في الماءِ
وللجبلِ الواقفِ – لا ينكرهُ اللَّيلُ –
ملاذٌ في الأرضْ . .
وحدي منفصلٌ عنْ ظلّي
سألوذُ بمنْ أورقَ في كفَّيهِ
الضوءُ – العطرُ
وفي راحتِهِ تجري الأنهارُ ،
بريشتِهِ الكبرى يرسمُ زينةَ هذي الأرضْ .

* * *

جمهرةٌ من فرسانِ العشقِ
اغتسلوا – قَبْلي – بالخوفِ
وضاقَ بهم جلدُ الأرضِ ،
انتهبوا ،
خَرجُوا منْ حُجُراتٍ داكنةٍ
لاذوا بفضاءٍ منتشرٍ ،
يسكنُهُ اللَّهُ الواحدُ .
نخلةُ صبري
وحدائقُ إيماني
تتوهَّجُ
تدنو ،
تسرحُ روحي في فرحٍ لا أبعادَ لهُ
لا حَدْ .

* * *

ويلي
حينَ توهَّمْتُ – زماناً –
أنّي في الحجرةِ وحدي
أنَّ الجدرانَ تُطاردُ صدري
فتضيقُ تُخومي
تطويني بالظُّلمةِ . .
لكنّي حينَ رجعتُ منَ المنفَى
شاهدتُ الضوءَ بعينَيْ قلبي
يتداحُ ،
يفيضُ كفجرٍ أبيضْ .

* * *

لم أرَهُ . .
الضَّوءُ رآني
فوجئتُ بهِ يملأُ أركانَ الأرضِ
يحاصِرُ كلَّ تضاريسِ العتمةْ .

من مجموعة
«أبجدية الروح»

رثاء بقعة ضوء

كيفَ لي أنْ أناديكِ ،
أنْ ألمسَ الكلماتِ ،
وأبكيكِ يا بقعةَ الضوءِ
في جسدِ العُمْرْ؟
ينحني الصوتُ
تمتصُّهُ في الفضاءِ السَّحيقِ
رياحٌ رماديّةٌ ،
وأحاديثُ موتى يصلُّونَ .
منذُ متى ويدي تتوكّأُ قلبي
وتبحثُ عنْ غبطةٍ
في زمانِ الرَّمادْ؟
الفصولُ ملوَّثةٌ
الوجوهُ ملوَّثةٌ
والعصافيرُ تبحثُ عنْ لحظةٍ للفرحْ .
وأتتْ بقعةُ الضوءِ .
شاركَتني في هواها النهارُ .
توقَّفَتِ الشمسُ تسألُ عنْ حالِنا
وتبادلْنا قُبلةَ الشوقِ ،
لكنّها انكسرَتْ – بقعةُ الضوءِ –
أسلمَني شجرُ الكلماتِ إلى الصمتِ
قبلَ اشتباكِ القصائدِ غابتْ . .
هيَ الآنَ تَنْزِفُ ،
والحزنُ معتصمٌ بالظلامْ .
ما الذي يجعلُ الشمسَ تبكي ،
وتمضي مبكِّرَةٍ نحوَ نافذةِ اللَّيلِ؟
ها إنها تختفي . .
كيفَ لي أنْ أحادثَ سيّدةَ الضوءِ
أنْ أتَّقي ساعةَ الضَّجَرِ المرِّ
أنْ أبدأَ الاتّجاهَ المعاكسَ للحزنِ
أنْ أستعينَ بلؤلؤةِ القلبِ؟

لا شيءَ . .
مغسولةٌ بالترابِ العتيقِ طريقي ،
ومغسولةٌ بالغيابْ .
منْ أنا ،
احْتَرَقَتْ بقعةُ الضوءِ في لغتي
في حياتي . .
كأني أوزِّعُ آخرَ وقتي
أوزِّعُ آخرَ صوتي
وأبحثُ عنْ لحظةٍ للتذكُّرِ ،
تحملُ حزني على كِتْفِها .
قيلَ لي : إنَّ حبَّكَ لا ينتهي
إنَّ صوتَ القصيدةِ لا ينتهي
إنّني الآنَ أشهدُ موتينِ :
موتي
وموتَ القصيدةْ .

من مجموعة
«أوراق الجسد العائد من الموت»



أغنية للرَّماد
إلى الذي كان صديقي..

قبلَ أنْ ترفعَ الخنجرَ المتوغِّلَ
في الظَّهْرِ،
دعني أراكَ
فإنَّ دمي حينَ عانقَهُ،
شَمَّ في نَصْلِهِ مقطعاً منكَ،
أدركَ إيماءةً للعناقِ القديم
وأدركَ آثارَ رائحةٍ للصَّداقةْ.
يستوي مخلبُ الذِّئْبِ
والكَفُّ..
كَفُّ الصَّديقِ الّذي حَمَلَتْهُ جفوني
وَرَوّاهُ دمعي،
وكنتُ له الرِّيْشَ والأُفْق،
كنتُ النَّجاةَ منَ الصمتِ،
ناوشْتُ منْ أجْلِهِ الرِّيحَ
والنارَ،
قاسمتُهُ الكلماتِ..
لماذا ترمَّدَ وجهيَ في وجهِهِ
واختفَيْنا
استوى الزَّهْرُ والشَّوْكُ،
والشعرُ والجُرْحُ؟
كيفَ استوتْ – آهِ – تُفّاحتي والحَجَرْ؟
منْ يقاسمُني نشوةَ اللَّهِ
يخرجُ منْ عَفَنِ الوقتِ
منْ خبزِ هذا الخرابِ
ويدخلُ في عَصْفِ هذا الرَّمادِ؟
ومنْ يرتدي شجراً منْ هباءٍ
ويقضمُ حنظلةَ الندمِ الأخويِّ
ويرحلُ عنْ عالَمٍ وَرَقيِّ الوجوهْ؟

من مجموعة
«أوراق الجسد العائد من الموت»

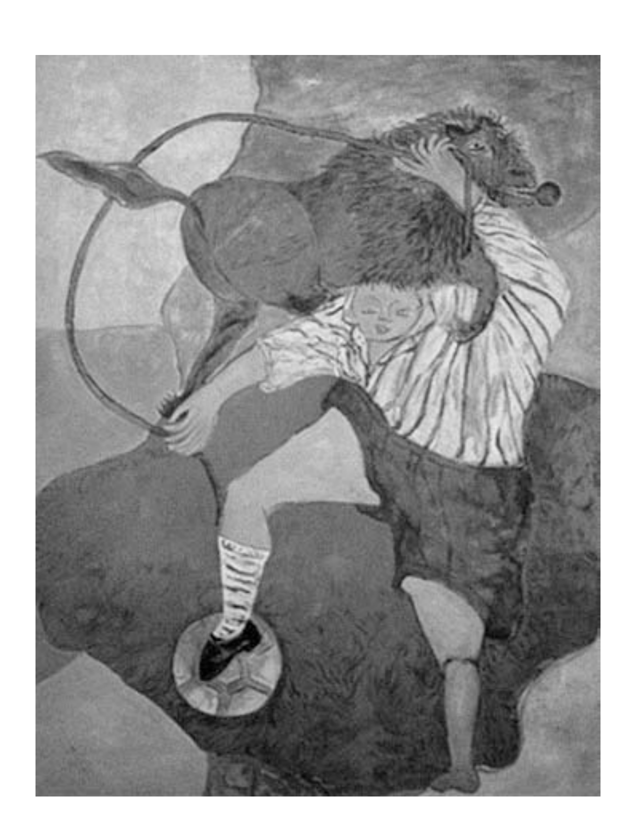
الخروج من دوائر السّاعة السّليمانيّة

١
منْ شجرِ القاتِ
ومنْ قواميسِ اللُّغات الميِّتةْ
أخرجُ شاهراً حرفي ، ممتطياً صوتي
أسيرُ ،
في يميني وردةُ الميلادِ
في يساري نخلةُ الميعادِ ،
في دمي بشارةُ القيامةْ .

٢
تقرأُني أصابعُ الموتى
تنتفضُ الغابةُ في شرايينِ الترابِ
تلفظُ القبورُ أهلَها
تصحو حجارةُ المدينةِ النَّعْسَى
وتستفيقُ جدرانُ البحارِ الظامئةْ .

٣
تضحكُ أسناني
تضحكُ نارُ الحزنِ . .
أمضغُ الأحجارَ والأشجارَ
باحثاً في الماءِ عنْ وجهي
عنْ وجهِ نهرِ الرِّيحِ
عنْ حروفِ القاتِ
عنْ شُجَيراتِ الخيالِ ،
أينَ تختفي خَيْلي؟

٤
عتيقةٌ كآبتي ،
تحومُ حولَ جثَّةِ الماضي
ترسمُ وجهَ اليومِ
تمتطي جرحَ غدي
على شراعِ القاتِ
في وجوهِ المغربِ البليدةْ .
الصمتُ صارَ لغتي
والسّاعةُ السُّليمانيّةُ امْتَدَّتْ عروقُها
صارتْ شباباً كالشُّيوخِ
يمضغونَ خضرةَ الأيّامِ
يشربونَ ماءَ العمرِ . .
أينَ ضوءُ الحُلْمِ
والبراءةْ؟







٥

منْ يرتدي حزني
منْ يكتبُ الأصواتَ في نهارِ الصمتِ
في ليلِ الدُّخانِ؟!
منْ يميتُ الاخضرارَ في الوجوهِ
في الشِّفاهِ
في الأجفانْ؟

٦

تذبحني سيوفُ الصمتِ
تسقطُ الدِّماءُ في ظلّي
أخرجُ شاهراً حرفي
ممتطياً صوتي،
أرفعُ حزنَ الأرضِ عنْ صدري
أصيحُ في موجِ الجموعِ:
انطلقي
تألَّمي
تكلَّمي . .
تذبحُني سيوفُ الصمتِ في الشِّفاهِ
الصّامتةْ.

من مجموعة
«الخروج من دوائر الساعة السليمانية»





أشجان يمانية

١

هل عرفتْ أعينُكُم في الأرصفةِ المهجورةِ
معنى الدَّمْعْ؟
في المنفى احترقَتْ عيني شَجَنا،
صارَ الدمعُ بعيني وطنا
شربَتْ عيني ماءَ الحزنِ
انفجرَتْ. .
أينَ الضوءْ؟
شَبَحُ امرأةٍ ظلٌّ ينادي وجهي
منْ خلفِ اللَّيلْ،
حينَ خلعْتُ ثيابَ المنفى
غابَ القمرُ المشتاقْ
ضاع كتابُ العشّاقْ. .
مهلاً يا قدمَيَّ الذّاويتينِ
الدَّرْبُ أفاعٍ
والرِّحْلَةُ زيفٌ.
التَّذكرةُ الأولى ثعبانْ
والتَّذكرةُ الأخرى تمساحٌ
فلتقرأ أقدامُ النَّهْرِ تذاكرَها،
ولْنتوقَّفْ
حتى يتفجَّرَ ماءُ الفَجْرِ منَ الصخرةْ
ومنَ الجَمْعِ الحاشدِ يولدُ إنسانْ.

٢

يتملَّكُني حزنُ كلِّ اليمانينَ
يفضحُني دمعُهم،
جُرْحُهم كلماتي
وصوتي استغاثاتُهم،
يتسوَّلُ في الطُّرقاتِ الصَّدَى
كلَّما قلتُ: إنَّ هواهم سيقتلُني
ركضَتْ نخلةُ الجوعِ في ليلِ منفايَ،
فانتفضَ العمرُ،
وارتعشتْ في الضُّلوعِ دفوفُ الحنينِ
وبينَ عيونِ نخيلِ (الجنوب)
وكَرْمُ (الشّمال)،
يقومُ كتابُ الهوى
تتدلَّى عناقيدُ بهجتِنا
يغضبُ الرَّمْلُ
ترتعشُ الكلماتُ
تحاصرُها شهوةُ الحقدِ
تمتدُّ حولي أصابعُها. .
أأيُّ قُضْبانِ سِجْنٍ هنا ترْتَسِمْ؟

٣

أمشي وراءَ صوتِهِ
يمشي وراءِ صوتي،
حيناً أصيرُ ظِلَّهُ
حيناً يصيرُ ظِلِّي،
مَنْ هوَ هذا النّائمُ اليقظانْ؟
– الخوفُ عُرْسُ النارْ.
يخرُجُ منْ رمادِ الأمسْ
ينسلُّ منْ رمالِ اليومْ
يرقصُ في جليدِ الغدْ.
– يا فَرَحَ الترابِ أينَ أنتْ؟
الخوفُ يرتدي دمي
يمضغُني، أمضغُهُ
نأكلُ بعضَنا
نشربُ بعضَنا. . متى سنفترقْ؟

٤

عذَّبَتْني القطاراتُ
وَهْيَ تصافحُ وجهي مودِّعَةً،
عذَّبَتْني الشَّوارعُ خاليةً
ليسَ في الكُوْخِ إلاّ روائحُهم.
أيّها الشَّجَنُ (المأربيُّ) المعتَّقُ
هذا حَصاني
وَشِعْري
وَسَيْفِيَ بِعْني بهم ساعةً
منْ لقاءِ الشَّجَرْ.
يا عيونَ الطُّفولةِ
وجهي هنا يستحمُّ بدمعِ الشَّجَنْ. .
هل بعيدٌ عنِ النَّخْلِ وجهُ اليَمَنْ؟
هل بعيدٌ أنا عنْ نخيلِ الهوى؟
هل بعيدٌ أنا عنْ زمانِ المطرْ؟
فَخُذوا لغتي
وكتابَ حياتي،
اهْبطوا بي على صفحةِ الماءِ
نارُ الدُّمُوعِ تُذَوِّبُني
ودمي يتسَوَّلُ وجهَ الرِّياحْ.





٥

– إنّهُ موسمُ النوم . .
قالَ ، وعيناهُ مفتوحتانِ
تفتِّشُ في قَعْرِ إحداهُما
عنْ بقيّةِ إغفاءَةٍ شاردَةْ:
– إنّهُ موسمُ الحزنِ .
قلتُ ، وكانَ الصَّدَى ، مثلَ زِنْجيَّةٍ
يتلفَّتُ خلفي ،
وكلُّ الممرّاتِ مغلقةٌ باردَةْ:
خنجرُ الأرقِ المتوهِّجِ في صدرِهِ
يكتبُ الجُرْحَ .
مالَ جبينُ النَّهارِ
بَدَتْ آهةٌ في فمِ الشمسِ مكتوبةٌ ،
– إنّهُ موسمُ الحزنِ ،
صفراءُ في لونِ آهاتِنا شَجَراتُ الحقولْ ،
المقابرُ ،
والعشبُ أصفرُ
أسودُ ،
والملتقى .
– أيُّ فصلٍ منَ العامِ هذا الذي جاءَنا؟
– إنّهُ . .
إنّهُ وجهُ كلِّ الفصولْ .

٦

في العَتْمَةْ . .
وطني وأنا نسهرُ
نشكو للرِّيحْ . .
نرسمُ وجهَ المنفى
نتساقَى أكوابَ الدَّمْعْ .
حينَ يغالبُني السُّكْرُ أراني وطني
وأراهُ أنا .
مَنْ مِنّا الوَطَنُ / المنفى؟
مَنْ مِنّا الجُرْحْ؟!
يا نارَ الماءِ اقْتَربي . .
مُدِّي ظِلَّكِ فوقَ عظامي
فوقَ عظامِ الوطنِ / المنفى ،
فوقَ الجِذْعِ المتفجِّرِ بالدَّمْعْ .

٧

أسيرُ ،
يسيرُ الطَّريقُ معي
ثمَّ أعدو ويسبقُني
قَدَماي تَسَمَّرَتا . .
هل أنا حَجَرٌ في خطوطِ البدايةْ؟
مدينةُ عشقي تُنادي
ومنْ خلفِها تتدلَّى العناقيدُ ،
كالبحرِ غامضةٍ تتبسَّمُ (مأربُ) . .
سيّدتي ليسَ ذنبي ،
تصالحَ – في قتليَ – النفطُ
والرَّمْلُ .
هل تسمعينَ أنينَ حروفي؟
سآتيكِ يوماً . . سآتيكِ
يا لَلطَّريقِ . . أسيرُ عليهِ فيسبقُني
ثمَّ أعدو فيسبقُني ،
هل أنا حَجَرٌ في خطوطِ البدايةْ؟

٨

أوْرَقَتِ الكآبةْ .
تَجَذَّرَتْ فينا
تباركَتْ أغصانُها
تَحَدَّدَتْ في رئتي الأظافرُ الطريَّةْ ،
صِرْتُ كَحَدِّ الماءْ
لا الصمتُ يشفيني
ولا الكتابةْ
ولا حدائقُ الوَرْدِ
ولا السَّحابةْ .
أطرقُ بابَ اللَّيلِ خاشعاً:
يا ليلُ ،
أيّها الرَّحيمُ يا جِدارْ . .
غَسَلْتَني منْ مَلَلِ النَّهارْ ،
غَسَلْتَ نفسي منْ جحيمِها
منْ شوقِها العقيمْ ،
غَسَلْتَ عينيَّ منَ الضَّوءِ السَّديمْ
وَشَفَتيَّ منْ تحيُّرِ السُّؤالْ .

٩

قالَ لي منْ رأى: إنَّ صنعاءَ جائعةٌ
والمآذنَ عاريةٌ تتسوَّلُ ،
(عَيْبانَ) يحملُ أطفالَهُ
وتوابيتَ موتاهُ ،
ثمَّ يهاجرُ . .
أينَ الطريقُ إلى الماءِ؟
عَذَّبَني عطشُ النهرِ
عَذَّبَني عطشُ البحرِ ،
كلُّ مكانٍ على الأرضِ بيتٌ سوى مَنْزلي ،
كلُّهم يحملونَ جماجِمَهم لِلْمَنافي .
رَحِمُ الأرضِ جَفَّ
الحصى ، رَحِمُ الزَّمنِ المتفجِّرِ
جفَّ ،
خُطايَ تحدِّقُ في بعضِها ،
والطَّريقُ العَباءةْ .

القاهرة، سبتمبر ١٩٧٧م

من مجموعة
«الخروج من دوائر الساعة السليمانية»



برقيّات شوق لصنعاء

البرقيّة الأولى:

كلَّ يومٍ إذا ما خلوتُ لنفسي
وألقيتُ أثقالَها ،
وشددْتُ الرِّحالَ على سفنِ الذِّكرياتِ ،
رأيتُكِ طالعةً في عروقي دماً
في دمي شجراً ،
ورأيتُ جدارَ الحصارِ
الذي كانَ يفصلُ ما بيننا
يتلاشى ،
وأذرعَنا تتلاقى ،
وأجسادَنا ترتمي في العناقْ .

البرقيّة الثانية:

كلَّ أمسيةٍ
حينَ يسترجعُ اللَّيلُ أجسادَ أشواقِنا
يتسلَّلُ منْ جسدي طائرُ الشوقِ
يرحلُ منفرداً نحوَ «صنعاءَ» ،
ثمَّ يعودُ قُبَيْلَ الصباحِ ،
على عينِهِ منْ ترابِ الفراقِ جراحٌ
وفي القلبِ وجهٌ مُدَمَّى
وأوردةُ الرِّيْش مبتلَّةٌ بالدُّموعِ
ومحشوَّةٌ برمادِ الحنينْ .

البرقية الثالثة:

هوَ العشقُ مُهْرٌ منَ النارِ
يرتادُ أوديةَ القلبِ
يركضُ في سُرَّةِ الشمسِ . .
في قصرِ «غمْدانَ» أدركَ سِحْرَ الطفولةِ
شقَّ ثيابَ الصَّبايا ،
بساحاتِكِ الخُضْرِ شبَّ
نما ،
فلماذا يشيخُ؟
لماذا غدا قصرُ «غَمْدانَ» سجناً؟
وصارتْ دهاليزُهُ مَخْفَراً
وزنازنَ للعشقِ ،
قبراً لأبنائِكِ العاشقينْ؟

البرقية الرابعة:

وطنُ الشّاعرِ الأرضُ
وجهُ السَّماءِ قصيدتُهُ
والبحارُ مدائنُ عينيهِ . .
– هل صَدَقوا؟
– لا ،
فمذْ غابَ وجهُكِ خلفَ دخانِ الفجيعةِ
صِرْتُ بلا وطنٍ ،
تحتَ وجهِ السماءِ
وفوق البحارِ بلا وطنٍ
جرحُكِ النّازفُ المستفزُّ اليمانيُّ
كانَ
وسوفَ يظلُّ الوطنْ .

البرقية الخامسة:

يؤرِّقُني ويعذِّبُني البعدُ ،
يسكنُني مطرُ الشوقِ
تسكنُني كائناتُ الحنينِ ،
إلى الطّائراتِ شرايينُ قلبيَ مشدودةٌ ،
وأغاني العتابِ تُفَجِّرُني
ترتوي منْ دمي ،
صوتُ أقداميَ العارياتِ على الطينِ دمعٌ
أصابعُها في الموانئِ مصلوبةٌ ،
ومُسَمَّرَةٌ في العويلْ .

البرقية السادسة:

جسدي في الغيابِ
وروحي حضورٌ ، وصوتي ،
أنا الطفلُ ما اخْتَرْتُ للجسدِ الاحتراقَ
بنارِ التَّغَرُّبِ عنكِ ،
ولكنّهُ وطني اختارَ صوتي
وأطلقَني في عيونِ المنافي بكاءً
وَجُرْحاً ،
وأخَّرَ موتَ دمي؛
ربما احْتاجَني – حينَ أخَّرَني وطني –
للشَّهادةْ .

البرقية السابعة:

يتوارى النهارُ
يلملِمُ أثوابَهُ البيضُ ،
ها هوَ وجهُ المساءِ يدقُّ النوافذَ
يفترشُ الرُّدُهاتِ الطويلةَ ،
لا تستطيعُ المصابيحُ أنْ تمنعَ اللَّيلَ
منْ أنْ ينامَ على الطُّرُقاتِ ،
ويمتدَّ فوقَ مدينتِنا
فوقَ أنهارِها عارياً .
ليتَ لي قمراً منْ مصانعِ عينيكِ
يطردُ عنْ عالمي دَوراتِ الظلامْ .

البرقية الثامنة:

قلتِ لي مَرَّةً:
إنَّ نارَكِ أكبرُ منْ حَجْمِ أفواهِهم ،
إنَّ شوقَكِ للماءِ أوسعُ منْ رغبةِ
الرَّمْلِ . .
ماذا جرى؟
جذوةُ النارِ توشكُ أنْ تنطفي ،
والرِّمالُ على الجسدِ الظامئِ الوجهِ
ترحفُ؛
لكنَّ قلبَكِ حيثُ البحارُ العميقةُ تهدرُ ،
قلبُكِ هذا الذي قلتِ لي مَرَّةً:
لنْ يموتَ ،
سيبقى فتيّاً
عنيفاً ، ونيرانُهُ لا تموتْ .

البرقية التاسعة:

تمرُّ القطاراتُ فوقَ دمي
حينَ تمضي جنوباً
وتبقى عظامي معلَّقَةً
في صخورِ الشَّمالِ . .
لماذا إذا اشْتَقْتُ
كانتْ عيونُ القطاراتِ نافذتي
كانَ صوتُ القطاراتِ دمعي؟
لماذا تمزِّقُني ، ثمَّ تنفضُني راحةُ
الاغترابْ؟!



البرقية العاشرة:

زورقاً أتمنّى،
وهذا الظلامُ الذي يتوسَّطُ ما بينَنا
أتمنّاهُ بحراً لآتي إليكِ..
أنا سيّدُ العاشقينَ،
ومجنونُ ليلى / التراب..
أحبُّكِ هل تستطيعينَ إنكارَ صوتي،
مواجيدَنا في ليالي التوجُّسِ؟
هل تستطيعينَ إنكارَ وَجْهيَ؟ لا..
أنْكِري إنْ قَدِرْتِ!
القصائدُ منشورةٌ في النوافذِ
في واجهاتِ المنازلِ،
موقدةٌ في الشِّفاهِ
ومعشبةٌ في عيونِ الجبالْ.

البرقية الحادية عشرة:

اقْتَرَبْنا، ابْتَعَدْنا
ابتعدْنا، اقتربْنا،
ومذْ صارَ قربُكِ بُعْداً وبعدُكِ قُرْباً،
وصارَ دمي لا يطيقُ الفراقَ
وقلبيَ لا يقبلُ الفصْلَ عنكِ،
انْطَفَأْتْ.

البرقية الثانية عشرة:

في الطريقِ إليكِ نشرْنا موائدَ أشواقِنا،
ودعونا إليها القلوبَ التي أثقلَتْها الدُّموعُ،
القلوبَ التي خلعَتْها يدُ البَيْنِ..
ضاقَ فضاءُ الحنينِ
ولم يَتَّسِعْ للقلوبِ المشرَّدَةِ البحرُ.
أينَ نقيمُ موائدَ أشواقِنا
ومواجيدَ غربتِنا؟
ومتى يا مدينةَ قلبي نعودْ؟

البرقية الثالثة عشرة:

الوجوهُ التي تطعنُ العينَ مألوفةٌ
والوجوهُ التي تحملُ الدِّفْءَ للقلبِ
مألوفةٌ..
كيفَ أجمعُ بينَ الوجوهِ التي طعَنَتْني
وتلكَ التي حفظَتْني؟!
وكيفَ أبارزُ تلكَ الوجوهَ السَّكاكينَ،
وَهْيَ تُجاملُني؟
أنتِ يا وطنَ القلبِ مثلي،
تضيعينَ بينَ زحامِ الوجوهِ
تضيعينَ في سَأَمِ الفَهْمِ،
لا تقدرينَ على الاختيارْ.

البرقية الرابعة عشرة:

يقولون: إنّكِ أصبحتِ عَجْفاءَ
إنَّ ضروعَكِ صارتْ لجرذانِ «مأرب»
مزروعةً..
كلَّما ارتفعَ السَّدُّ في وجهِ جوعِ القُرَى
أعملَتْ فيهِ أسنانَها..
يتهاوى،
وتجرفُ أحجارُه أوَّلَ الفعلِ منْ خضرةِ
«البُنِّ»،
مطلعَ أغنيةَ الوردِ..
هل صَدَقوا؟
– ربما..
– أنتِ مسكينةٌ يا عجوزَ الزَّمانِ العجوزْ!

البرقية الخامسة عشرة:

حَدَّثَتْني الطيورُ التي هاجرَتْ
والتي كلَّ يومٍ تهاجرُ عنْ حبِّها،
وعنِ الشوقِ للشَّجَرِ – البيتِ،
عنْ رعبِها منْ غبارِ المسافاتِ
والموسمِ المُرِّ،
هل تسمعينَ بكاءَ الطيورِ
إذا ما أتى اللَّيلُ،
وانطفأَتْ في الشواطئِ نافذةُ الحُلْمِ
واحترقَتْ في المرايا وجوهُ النهارْ؟

البرقية السادسة عشرة:

الطريقُ إليكِ قريبٌ.. بعيدٌ،
وكلَّ صباحٍ أطالعُ وجهَكِ في الماءِ
أقرأُ عينيكِ في كلِّ وجهٍ سؤالاً
وخارطةً للبكاءِ،
وفي قهوةِ «البُنِّ» ألقاكِ محروقةً
ومطاردةً،
صرتُ لا أشربُ «البُنَّ»
لنْ أشربَ الماءَ حتى أراكْ.

البرقية السابعة عشرة:

شوارعُكِ الباكياتُ الرَّماديّةُ اللَّونِ،
تسكنُ ذاكرتي
وترافقُني في الرَّحيلِ إلى مدنِ العشقِ،
تبكي إذا ما رأينا الشَّوارعَ مغسولةً
والمنازلَ تضحكُ:
تسألُني: كيفَ يخرجُ إنسانُنا
وشارعُنا منْ زمانِ البكاءْ؟

البرقية الثامنة عشرة:

قد تطولُ ليالي الحنينِ
وتمتدُّ أشجارُها في الضُّلوعِ
وتسكنُ أجسادُنا مدناً خصبةَ الماءِ.
لكنّهُ أوَّلُ الحبِّ – عندَ الهوى –
آخرُ الحبِّ،
فلتحْفَظي سِرَّ أشواقِنا
أو فبوحي بهِ..
فالشواطئُ تعرفُ قِصَّتَنا، والجبالُ.
على ساحةِ العينِ
والقلبِ محفورةٌ أنتِ
نابتةٌ في دمِ الرُّوحِ،
مثمرةٌ في نبيذِ الجسدْ.

البرقية التاسعة عشرة:

غَيَّرَ الحبُّ وجهَ المسافاتِ
صِرْنا قريبينَ ندخلُ في شفتيكِ
مذْ متى وأنا أتجوَّلُ في شفتيكِ.
وأنتِ تعيشينَ في كَبِدي؟
فاركضي في شوارعِ قلبي
بأطفالِكِ الحافِينَ!
احْرِقي كلَّ بحرٍ يفرِّقُ ما بينَنا
كلَّ رملٍ يحاصرُنا!
وطنُ القلبِ أنتِ وتاريخُهُ،
فاخْلَعي ما تبقَّى على الوجهِ
منْ جُرْحِكِ الملَكِيِّ القديمْ.

البرقية العشرون:

آهِ سيّدتي!
طالَ ليلُ الحِدادِ
بعينيكِ جَفَّ نخيلُ الهوى،
أزْهَرَ الحزنُ.
أبناؤُكِ الأنقياءُ يموتونَ
يغتربونَ،
متى يا مدينةَ قلبي يعودُ النهارُ
المهاجرُ،
نشربُ نَخْبَ «الطويل»
و«عَيْبانَ»،
نأكلُ كَعْكَ الرَّبيعِ،
ونلعبُ بالوردِ في ليلِ «نَيْسانَ»،
يغسلُنا بعدَ دمعِ التَّغَرُّبِ
نهرُ الفَرَحْ؟

القاهرة ١٩٧٦

من مجموعة
«الكتابة بسيف الثائر علي بن الفضل»

الشمس لا تمرُّ بغرناطة

إلى العمال والفلاحين في شمال الوطن

منْ يبكي في الظُّلْمَةِ؟
منْ يتحسَّسُ جُثَّتَها خلفَ جدارِ اللَّيلْ؟
لا يدري آخرُ شيخٍ وَدَّعَها
منذُ متى والشرقُ يقيمُ بـ«غرناطةَ»
مأتَمَهُ اللَّيليَّ الأبكمْ.
يتعذَّبُ،
ينثرُ فوقَ قبورِ الموتى دمعَ الشوقِ
إلى مُهْرَتِهِ المفقودةِ. .
كانتْ في لونِ الصبحِ جمالاً،
يُسْرِجُها في الفَجْرِ
يطيرُ بها،
تركضُ فوقَ المدنِ النَّعْسانةِ. .
تستيقظُ،
تغسلُ وجهَ الأرضِ بعينيها الدّافئتينْ،
تتمرجحُ خلفَ ضفائرِها سُحُبُ القريةِ،
تمشي. . تتحرَّكُ،
يجري تحتَ حوافرِها نهرُ العَرَقِ
الأسيانُ،
تسيرُ بِهِ سفنُ العُمّالِ المكدودينْ. .
يبنونَ قصوراً وجسوراً للمالْ،
يشربُهُ،
يشربُهم في علبِ اللَّيلِ كبارُ الملاّكْ!
وتنامُ جياعاً أطفالُ العُمّالْ!
المهْرَةُ تركضُ نافرةً،
تتراجعُ. .
تقطعُ رحلتَها نحوَ الشرقِ، تصيحُ:
لماذا – يا مدناً نائمةً عَجْفاءْ –
منْ لا يعملُ يأكلُ فاكهةَ الشمسِ
ويشربُ كأسَ الأرضِ،
ومن يعملُ لا يجدُ الكِسْرَةَ
لا يجدُ الماءْ؟!

* * *

كانتْ تضحكْ،
تتمهَّلُ وَهْيَ تسيرُ على حقلِ الحنطةِ،
تنضجُهُ عيناها. .
عيناها الموقدَتانْ،
تنتظرُ الفلاّحينَ الجوعى
حينَ يعودونَ بِهِ نحوَ موائدِهم خبزاً،
ثمَّ تعودُ لتبكيَ حينَ ترى السّادةَ
يستولونَ على الحنطةِ

والأرضِ معاً!
لا شيءَ يسيرُ إلى الأكواخْ
غيرُ الدَّمْعةِ، لا شيْءْ.
تغضبُ. .
تُشْهِرُ سيفَ النارِ عليهم
ينجحرُ السّادةُ خلفَ قصورِ الرُّعْبْ،
عنهم. . يتقدَّمُ جيشُ الجوعى لملاقاةِ النارْ،
تتراجعُ. تُخْفي نارَ السَّيْفِ
السَّيْفُ يصيرُ سؤالاً يتمدَّدُ فوقَ الأرضِ
وفوقَ البَحْرْ.
ما يُبْقي هذا الخيطَ – القبرَ الواهنْ
الجائعُ يحرسُ قَصْرَ المتْخَمْ،
المأسورُ يدافعُ عنْ ظِلِّ القَيْدْ؟!
يا للمهزلةِ البَشَرِيَّةْ!

* * *

منْ يبكي في الظُّلْمَةِ؟
منْ يتحسَّسُ جُثَّتَها خلفَ جدارِ اللَّيْلْ؟
«غرناطة» لا شمسَ لها. .
مطفأةٌ كلُّ قناديلِ اللَّيْلْ.
فمتى يلمعُ في الأفقِ المعتمِ نجمٌ
يتحدَّى،
يتحوَّلُ شمساً. .
قمراً؟
كلُّ الأقمارِ احترقَتْ في الرِّحْلَةْ. .
الدَّرْبُ رمادٌ.
فانطلقي يا مُهرَتَنا
انطلقي،
يوشكُ أنْ يدهَمَنا ليلُ اللَّيلِ الآخَرِ،
يُسْلِمَنا السجنُ إلى السِّجْنِ،
تعودُ عقاربُ ساعتِنا للخَلْفْ!
يا مُهْرَتَنا انطلقي. .
انطلقي.

أوّل مايو ١٩٧٤م

من مجموعة
«عودة وضاح اليمن»

البكاء بين يَدَيْ صنعاء

للحبِّ فوقَ رمالِها طللُ   منْ حولِهِ نبكي، ونحتفلُ
نقشتْهُ كَفُّ الشوقِ في دَمِنا   وطوتْهُ في أعماقِنا المُقَلُ
هوَ حُلْمُنا الباقي، ومعبدُنا   وصلاتُنا، والحبُّ والغزلُ
منْ أجْلِها تصفو مودّتُنا   ولِحُبِّها نشقى، ونقتتلُ
شابتْ مآسينا، وفرحتُنا   وتمزَّقتْ في دربِها الدُّوَلُ
وشبابُها الرّيّانُ ما برحَت   أزهارُهُ تندى، وتكتملُ

صنعاءُ يا أنشودةً عبقَتْ   وأجادَ في إنشادِها الأزلُ
إنْ أبعدتْني عنكِ عاصفةٌ   وتفرَّقتْ ما بيننا السُّبُلُ
فأنا على حُبّي، وفي خجلٍ   روحي إلى عينيكِ تبتهلُ.
ألقاكِ منتصراً ومنكسرا   وعلى جناحِ الشعرِ أرتحلُ.
يجتاحُني شوقٌ، ويسحقُني   شوقٌ، وفي التَّذْكارِ أشتعلُ
ما نجمةٌ في الأفقِ عابرةٌ   إلاّ هتفتُ بها: متى نصلُ؟
ومتى على الكفَّينِ راحمةً   هذا الغريبَ الدّارِ ينتقلُ
«نُقُمٌ» تُلَوِّحُ لي منائرُهُ   عَبْرَ البحارِ، وتومئُ الشُّعَلُ
إني، إلى صنعاءَ، يحملُني   وجهُ النهارِ، وترحلُ الأُصُلُ
وأعودُ طفلاً كلّما ذُكِرَتْ   ويغيبُ وَسْطَ حريقيَ الرَّجُلُ.
فمتى تظلِّلُني مآذنُها،   ويضيءُ منْ أحضانِها الجبلُ؟
لم يبقَ في الأيّامِ منْ سعةٍ   حانَ الرَّحيلُ، ونوَّرَ الأجلُ.
أأموتُ يا صنعايَ مغترباً   لا الدَّمعُ يدنيني، ولا القُبَلُ؟
أوراقُ أيّامي، أبعثرُها   وأعيشُ.. لا يأسٌ ولا أملُ.

يا أمَّنا جاعتْ مواسِمُنا   واستبطأَتْ أمطارَها اليمنُ
أكلَ الذُّبابُ جنينَ فرحتِها   وسَطا على أشبالِها الوهنُ.
كانتْ تظنُّ الصيفَ قادمةً   أمطارُهُ، والخِصْبُ، واللَّبَنُ
لكنّها – وا هَوْلَ ما شهِدَتْ!   لا الخيلُ تعصمُها، ولا القُنَنُ.
غرقَتْ بِوَحْلِ العمرِ، وانطفأَتْ   في ليلِها الشُّطْآنُ، والسُّفُنُ
واستسلمَتْ للجدبِ لا «كَرِبٌ»   يروي مواسِمَها، ولا «يزنُ»
كانتْ تخافُ الموتَ منْ «حسنٍ»   فأماتَها منْ خوفِها «حسنُ»
وتمرَّدَتْ ليلاً على وثنٍ   فاغتالَها في فَجْرِها وثنُ
أبكي على أيّامِنا اندثرَتْ   أشواقُها، والحُلْمُ، والمدُنُ
ويقولُ لي صحبي: كفى حَزَناً   ماذا يفيدُ الدمعُ والحَزَنُ؟
أألامُ يا أمّاهُ إنْ يبسَتْ   عيني، وأثمرَ حولَها الشجنُ؟
أبكي شباباً جَلَّ مصرعُهم   في ليلةٍ وضّاحةٍ دفنوا
رحلوا بلا زادٍ، بلا كفنٍ   أجفانُنا وقلوبُنا الكفنُ.
سأظلُّ أبكيهم، ويغسلُهم   عَبْرَ التغرُّبِ دمعيَ الْهتِنُ
حتى تَضِجُّ الأرضُ ثائرةً   ويصيحَ منْ أعماقِها الوطن:
لَبَّيْكِ يا (صنعاءُ) نحنُ هنا   لا الموتُ يدركُنا، ولا الزمنُ!
فُرْسانُ عصرِ الشمسِ ما بَرِحَتْ   راياتُهم تدنو، وتقترنُ
أرأيتَهم؟ في الأرضِ منْ دَمِهِمُ   عَبَقٌ، وفي أجفانِها وَسَنُ
وسماسرُ البترولِ تصلُبُهم   أحلامُنا الجوعى، وتمتهنُ
خانوا فما ربحتْ تجارتُهم   ومشتْ على أشلائِهم عَدَنُ
للغادرينَ النارُ تحصدُهم   ولكِ الخلودُ الخِصْبُ يا يَمَنُ.

من مجموعة
«هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي»

١٩٧٢م







اليوميّة الأخيرة

شَرَّقْتُ باحثاً عنِ الصباحْ
غَرَّبْتُ في سفينةٍ منَ الشجونِ
والجراحْ
كانَ الدُّجَى رفيقَ رحلتي ،
وكانَ فيها البحرَ
كانَ الرِّيحَ والملاّحْ .

* * *

وها أنا أعودُ يا بلقيسْ
عيناكِ شمسي ،
خمرتي
والشَّفَتانِ يا معبودتي الكؤوسْ ،
فَتَّشْتُ عنكِ البحرَ
والغاباتِ . .
والرُّمُوسْ .
سألتُ صمتَ اللَّيلِ
حينَ لم تجبْ على سؤاليَ الشُّمُوسْ؛
فضاعَ صوتي في رمادِ اللَّيلِ ،
ضاعَ في سوادِهِ السُّؤالْ ،
وعدتُ أحملُ الخيبةَ ،
أحملُ الهمومَ والأثقالْ .
مَزَّقْتُ ثوبَ العُمْرِ راحلاً
أبحثُ عنْ طيفِ مسافرٍ بلا قرارْ
أبحثُ في البراري النّائياتِ
في البحارْ ،
وحينَ عدتُ كانَ محبوبي هنا
في الدّارْ . .
يشربُ حزني ،
يقرأُ الأشعارْ
ينامُ في انتظارْ
يصحو على انتظارْ .
أوّاهُ! كم يبكي الغريبُ!
كم تعذِّبُ المسافرَ الأسفارْ!
أعودُ بعدَ رحلةِ الوَهْمِ ،
أقبِّلُ الأحجارَ والترابْ
أعانقُ الطفولةَ . . الشبابْ
أنفضُ في رحابِكِ السَّرابْ
فلتمنحيني يا حبيبتي داراً على الجفونْ!
مُدّي عليها ظِلَّكِ الحنونْ
لكي تقيني ثورةَ الظنونْ
وقسوةَ العيونْ!
فمنْ أنا لولاكِ يا معبودتي
ومنْ أكونْ؟
مسافرٌ بلا شراعْ
عيناهُ غاصتا ،
وقدماهُ تصرخانِ في جنونْ .
لَشَدَّ ما هما مشتاقتانِ للسُّكونْ
لَشَدَّ ما هما مشتاقتانِ للسكونْ .

(صنعاء ١٩٦١م)

من مجموعة
«رسالة إلى سيف بن ذي يزن»

شجن

مبتلَّةٌ روحي ،
كطائرٍ ألقَتْ بِهِ الرِّياحُ للعراءْ
في ليلةٍ حزينةِ المطرْ
لا تسمعُ الرِّياحُ صوتَهُ ،
لا تسمعُ الظلماءْ
ولا تمدُّ كفَّها رِفْقاً بِهِ الشجرْ .
أبحثُ في ملايينِ الوجوهِ
عنْ عينينْ
نَبِيَّتَينْ
عنْ مرفأ آوي إليهِ
قبلَ أنْ يعودَ منْ رحلتِهِ الشِّتاءْ
محمَّلاً بالثلجِ والصقيعْ
يمشي على جنازةِ الأضواءْ
يدوسُ وجهَ الزَّهْرِ
والرَّبيعْ .

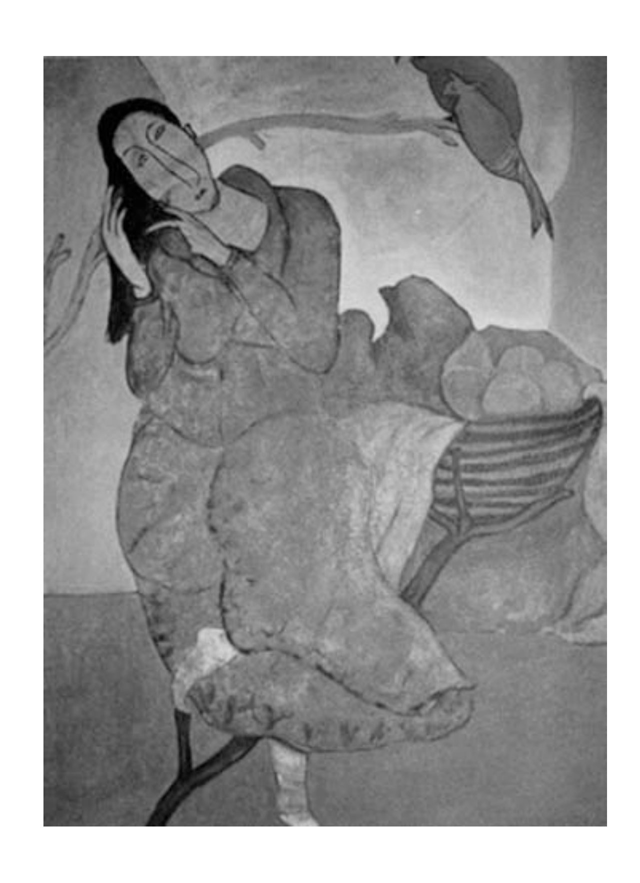
* * *

أغمضْتُ عيني: كنتِ في يدي
وكانتِ الأرضُ معي ،
وكانتِ الأنهارْ
والشمسُ والأقمارْ
تغسلُني منَ الدّاخلِ
تغسلُ الْوجومَ في العيونْ
تغسلُ وجهَ اللَّيلِ والنهارْ ،
حينَ فتحتُها كانَ الفراغُ قاتماً
وكانَ كفّي خاوياً ،
وكانتِ الدِّيارْ .
اللّهُ كانَ ، حينَ كنتِ ، موجوداً
وكانتِ الفراشاتُ تزيِّنُ الحقولَ
والجبالْ .
الزَّهْرُ لم يكنْ حزيناً
والطريقُ لم تكنْ حزينةً ، ولا التلالْ ،
ولم تكنْ دميمةً وجوهُ اللَّيلِ
والرِّجالْ .

* * *

فكيفَ صارتِ الأشياءُ في عيونِنا
قبيحةً دَكْناءْ
ولم تعدْ تضحكُ في وجوهِنا المدينةْ ،
ولا حوائطُ المنازلِ البيضاءْ؟
شُبّاكُ دارِنا الحزينةْ
أصبحَ دائمَ البكاءْ
لأننا خسرْنا كلَّ فرحةٍ ثمينةْ
حينَ خسرْنا الحبَّ واللِّقاءْ .

من مجموعة
«لا بدَّ من صنعاء»



وطني

هلِ الصبحُ مكتئبٌ
أمْ هيَ العَيْنُ، يا وطني؟
هل تغني العصافيرُ
أمْ تصطلي فوقَ نارِ اللَّيالي
مناقيرُها؟
أنَدَى الفَجْرِ هذا الذي يتساقطُ
فوقَ بقايا الزُّهورِ البريئةِ،
أمْ دمعةُ الكائناتِ الكئيبةِ؟
أسئلةٌ لا قرارَ لها
لا مَدَى . .
كيفَ،
منْ أينَ تأتي الإجابةُ؟!

١٩٩٧/٧/١م

من مجموعة
«تأملات»

بداية أم نهاية؟

يغمضُ عينيهِ على حُلْمٍ
تكاثفَتْ على طريقِهِ الألوانْ
يفتحُ عينيهِ على رُعْبٍ
تشابكَتْ فوقَ رمادِهِ الجدرانْ
لم يبقَ في خرائبِ القلبِ
مساحةٌ لطعنةٍ
ولا مكانْ . .
يا سيّدَ الأكوانِ
هل هذا الذي نرى بدايةُ الطريقِ،
أمْ نهايةُ الزّمانْ؟

١٩٩٧/٧/٨م

من مجموعة
«تأملات»

هروب!

اهجروا قفصَ الصمتِ!
ولتنهضوا منْ مراقدِكم
منْ زمانِ الوُجُومْ!
ربما صارتِ الأرضُ
مقفرةً بعدَ حينٍ
إذا رحلَ الناسُ عنْ شرِّها
ومخاوفِها،
صوبَ تلكَ النجومْ . .
فابحثوا عنْ مكانٍ هناكَ
لكم
ولأحفادِكم،
أو فكونوا غذاءً لأرضِ السَّمُومْ!

١٩٩٧/٧/١٥م

من مجموعة
«تأملات»

لؤلؤ الندى

كانتِ الأرضُ خضراءَ
منْ غيرِ سُوْءٍ،
وكانَ الندى لؤلؤاً
والعناقيدُ ماءْ،
كانَ لونُ الحياةِ كما ينبغي
والزّمانُ كما ينبغي . .
يا إلهي لماذا تغيَّرَتِ الأرضُ
والناسُ،
صارَ الندى حَجَراً
والأغاريدُ صارتْ بكاءْ؟

١٩٩٧/٧/٢٢م

من مجموعة
«تأملات»



ليت الفتى غيمة

يهبطُ الغيمُ
فوقَ جبالِ مدينتِنا ،
فأراها وقدْ رحلَتْ خَلْفَهُ
تتعلَّقُ شُرْفاتُها بمواكبِهِ ،
وأرى طفلةً
منْ نوافذِ بيتٍ قريبٍ
تداعبُهُ بمناديلِها الوَرَقِيَّةِ . .
آهِ ليتَ الفتى غيمةً!
آهِ ليتَ الفتى نافذةْ!

١٩٩٧/٧/٢٩م

من مجموعة
«تأملات»

التباس

حينَ ماتَ النهارُ
بكى الضوءُ
والظِّلُّ ،
واستيقظَ الحزنُ
في ورقاتِ الشجرْ . .
أيها الموتُ!
ما عادَ وجهُكَ ملتبساً
ومخيفاً ،
لقدْ صارَ وجهاً أليفاً ،
كوجهِ المطرْ .

١٩٩٨/٧/١٣م

من مجموعة
«تأملات»

جيل !

هوَ جيلٌ بلا أمَّهاتْ
أرضعتْهُ الخنازيرُ منْ لبنٍ
لا براءةَ فيهِ
ولا حُبَّ . .
ليتَ الزَّمانَ الذي يتأرجحُ
بينَ الكآبةِ والموتِ
بينَ البراءةِ والحقدِ
بينَ الصَّلاةِ وبينَ الصديدْ ،
ليتَهُ يتوقَّفُ فالأرضُ حبلى
بما لا تريدُ
وما لا يريدْ!

١٩٩٨/٣/٢٤م

من مجموعة
«تأملات»

ثمر النوم

إنَّ في البحرِ متَّسعاً للغريقِ
وفي الوهمِ متَّسعاً للضَّلالةِ . .
فانْفُضْ رداءَكَ منْ ثمرِ النومِ
منْ جدلٍ عابثٍ لا يفيقْ
اقتحمْ هاجسَ الوقتِ
واخرجْ بفانوسِكَ المتفحِّمِ
للشمسِ ،
لا صَحْوَ بعدَ الضُّحَى
لا جنائزَ تحملُنا
لا طريقْ!

١٩٩٨/٣/٣١م

من مجموعة
«تأملات»



مقام

أنصافُ ضحايا
أنصافُ حيارى
أنصافُ نيامْ،
لا يشتاقونَ إلى العيدِ
ولا يشتاقُ العيدُ لهم . .
ليسَ لهم في نارِ الشيطانِ
مكانٌ،
ليسَ لهم في جنّاتِ اللّهِ مقامْ.

١٩٩٨/٤/٧م

من مجموعة
«**تأملات**»

الحائرون

مثلَ منْ يسألُ الناسَ عنْ وجهِهِ
وَهْوَ في وجهَهِ،
يسألُ الناسَ عنْ أنفِهِ
وَهْوَ في أنفِهِ،
يسألُ الناسَ عنْ صوتِهِ
وَهْوَ في صوتِهِ،
يسألُ الناسَ عنْ حزنِهِ
وَهْوَ في صدرِهِ!
هكذا نحنُ في بلدِ الحائرينْ.

٢٠٠٠/٥/٢م

من مجموعة
«**تأملات**»

سجن

"خرجْنا منَ السجنِ . . ."
لكنَّها لم تزلْ
تتأوَّهُ أضلاعُنا
وجماجمُ أفكارِنا،
ما يزالُ (الوِشاحُ)
وأحفادُهُ
يقرونَ بطونَ الكلامْ
ويستنطقونَ الحروفَ . .
كأنَّ الزَّمانَ توقَّفَ
والدهرَ – في أرضِنا –
سرمديُّ الظلامْ!

٢٠٠٠/٥/٩م

من مجموعة
«**تأملات**»

صنعاء

هيَ في مركزِ الضوءِ
تختارُ ألوانَها
وحجارتَها
ونقاطَ الحروفْ
وَهْيَ مئذنةٌ للصلاةِ
وبوّابةٌ للكرامةِ
مقبرةٌ للغزاةِ
وسَجّادةٌ للضيوفْ.

٢٠٠٠/٥/١٦م

من مجموعة
«**تأملات**»





يوم مورق

هذا يومُكَ
يا وطنَ الشهداءْ
يكبرُ في عينِ الأرضِ
ويأتي في كوبٍ فِضّي . .
الصبحُ يفيضُ حناناً
وأغانيَ خضراءْ
هذا يومُكَ . .
أفراحاً يتدفّق
يغسلُ أوجاعَ الناسِ
ويورقُ بالحبِّ
وبالأضواءْ.

٢٠٠٠/٥/٢٣م

من مجموعة
«تأملات»

